سلسلة نحو النور
(٨)

المسجد
وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه

تأليف
عبد الله قاسم الوشلي

دار التوزيع والنشر الاسلامية

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت : ٣٩١١٩٦١ ص . ب : ١٦٣٦

تقريظ

تقريظ فضيلة الشيخ العلامة عمر أحمد سيف، خطيب جامع الفاروق بالحديدة، عضو جمعية العلماء اليمنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد، فقد اطلعني الأخ الكريم والعالم الجليل السيد/ عبدالله قاسم الوشلي على رسالته الكريمة وتحفته الفردية في بابها لشبابنا اليوم المسماة «المسجد وأثره».

فقرأتها كلها وألممت بما فيها فإذا هو قد أجاد وأفاد وجاء بما يثلج الصدر ويطرب الألباب من تقسيم وترتيب وبيان وإشادة بمكانة المسجد في الإسلام وارتباطه بالدين والحياة العامة في كل نواحيها مدعماً بالأدلة الشرعية والشواهد التاريخية بما لا يدع مجالاً للشك ولا مقال لقائل فجزاه الله خير الجزاء ونفع بها المسلمين خصوصاً شبابنا المتطلع للمعالي. والله ولي التوفيق.

كتبه/ عمر أحمد سيف في ١٤٠٦/١١/١٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقـديم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلاّمة

محمد علي عجلان

مدير عام معاهد لواء الحديدة

عضو اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله اللّهم صلّ وسلم على سيدنا محمد رحمتك المهداة إلى العالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وبعد:

فالمساجد بيوت الله مواطن تنزل رحمته وسكينته وملائكته وإشعاع نوره في الأرض ومن ثم فهي خير البقاع ومهوى أفئدة المؤمنين ومكان أنسهم وإنشراح صدورهم وخير مجالسهم ولقاءاتهم كيف لا وتعلقهم بها وترددهم إليها علامة صدق إيمانهم (إذا رأيتم الرجل يرتاد المسجد فأشهدوا له بالإيمان) (وفي) المساجد تجد المظهر العملي لوحدة الأمة الإسلامية وتوحيد ربها فالمؤمنون في بيوت الله يلتقي عالمهم وجاهلهم وأميرهم ومأمورهم وغنيهم وفقيرهم وصغيرهم وكبيرهم دون تفرقة ولا تمايز ولا مكان يرصد لهذا دون ذاك الجميع أمام الله سواء أقربهم إليه أتقاهم له وفي بيوت الله تعالى تزكوا النفوس وتتطهر وتنشرح الصدور وتستنير العقول والبصائر وتشرق أنوار العلم والمعرفة في الأرواح وتُصمد الحوائج إلى الله فتقضى وفيها يتعلم الجاهل ويتذكر الغافل وهي مع ذلك المعهد والمدرسة ومجلس الشّورى ومواضع عقد الرايات وتجهيز الجيوش وإدارة شؤون الأمة.

هكذا كانت بيوت الله وهذا مراد الإسلام منها.

ولقد استمرت المساجد تؤدي هذا الدور قروناً طويلة من الزمن حتى أصبحت الأمة الإسلامية في مرحلة الغثائية الهزيلة الطافية من الداخل وتداعي الأمم المعادية من الخارج ضعف دور المسجد تبعاً لضعف تمسك الأمة الإسلامية بدينها وعدم اهتمامها بالعلم والمعرفة رغم بقاء كثير من المساجد في كثير من بقاع الأرض تؤدي بعض هذا الدور.

وإذا كانت الأمة الإسلامية على أبواب صحوة كبرى ويقظة بعد سبات طويل فإن العودة إلى إحياء بيوت الله وأداء المسجد لدوره أمر لا تتكامل هذه الصحوة بل ولا تتم بدونه.

وحول إحياء رسالة المسجد وتذكير الأمة بما كان عليه سلفها الصالح مع بيوت الله تعالى كتب وألّف كثير من العلماء والكتاب ومنهم فضيلة الشيخ العلامة الفقيه المحدث والكاتب الباحث والأستاذ المربي والداعية الخطيب الواعظ السيد/ عبدالله بن قاسم بن إسماعيل الوشلي فقد كتب سلسلة رسائل في هذا الموضوع وتفضل مشكوراً بعرض الرسالتين الأولى والثانية عليّ فوجدته قد أفاد وأجاد ووفى الموضوع حقه وقام بجهود كبيرة وبذل الطاقة وُسْعَهُ، حتى صدر عن المصادر الموثوقة ورجع إلى المراجع المفيدة المحققة وجمع وقرب وأعطى الصورة الواضحة لدور بيوت الله تعالى في التربية والتعليم عبر العصور والأمصار.

ولقد كانت رسالته الأولى (المسجد وأثره في تربية الأجيال وكيف تآمر أعداء الإسلام عليه وواجبنا نحوه) بينما كانت الثانية (المسجد ودوره التعليمي عبر العصور) وهذا الترتيب الذي جاء به الأخ المؤلف في رسالته لم يأت فلته وإنما ترتيب مقصود له دلالته التربوية والتعليمية فالتربية والتزكية

والتطهير تأتي قبل التعلّم وبهذا الترتيب جاء القرآن الكريم يبين مهمة رسول الله ﷺ ومراحل دعوته في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ فالمرحلة الأولى مرحلة البلاغ وإقامة الحجة وهذه لعموم الناس فمن استجاب كان واجب الدعوة والداعية معه التزكية والتعليم لأحكام دين الله الحق. ولقد بدأ الأستاذ المؤلف في رسالته الأولى بمقدمة تناول فيها عناصر القوة وعوامل تكوين وبناء الأمة الإسلامية فجعل المسجد أحد هذه العناصر والمقومات وفي هذا المدخل تحدث عن تاريخ المسجد ودوره في حياة الأمة المسلمة ومضى يؤرخ لنشوء المسجد ورسالته وبيان دوره ومع أنه تحدث عن المساجد عموماً فقد أفرد بعض المساجد التي كان لها دور بارز بالحديث كما انتقل إلى بيان حاجة الأمة الإسلامية إلى المسجد ثم رسالته ووظيفته في مجتمع الأمة المسلمة وأثره في تربية الأجيال وتكوينها.

ثم عقد فصلاً خاصاً عن مؤامرة أعداء الإسلام على المسجد ورسالته وفي أي شيء تمثلت وهو فصلٌ نفيس ومهم يجهل محتواه كثير من علماء المسلمين فكيف بعامتهم ولذلك فبيانه من الأهمية بمكان ومضى الكاتب متفائلاً مع طلائع الصحوة الإسلامية والاتجاه إلى إحياء رسالة المسجد وانتهى به المطاف في واجب الأمة تجاه بيوت الله حتى تؤدي رسالتها الشاملة مبيناً مواصفات أو ملامح المسجد النموذجي المنشود.

أما في رسالته الثانية فقد استعرض الجانب العلمي في رسالة المسجد والعلوم والمعارف التي تشع من بيوت الله على الأمة وتنهال عليها خيراتها وبركاتها وثمارها اليانعة التي جنتها الأمة الإسلامية بل والبشرية كلها عبر القرون.

ولقد سار المؤلف مع العلم في أول ميادينه وأوسع مجالاته وهو المسجد متنقلاً في كل عصر ومصر منذ فجر الإسلام الأول خلال أربعة عشر قرناً موضحاً منهج الحلقات المسجدية وطريقة سيرها وما يدرس فيها من فنون العلم والمعرفة ومدى إقبال الناس عليها واستفادتهم منها ثم عاد فبيّن كيف انحسر هذا المد ونضب هذا النبع أو كاد وأسباب ذلك وسوء نتائجه في الأمة.

وتحت عنوان (طريق الخلاص) أطلق ليراعه عنانه في رسم خطة متكاملة لكيفية إحياء رسالة المسجد والعودة إلى دوره العظيم وعهود عطائه وازدهاره.

ولقد جمعت هذه الرسالة بين السرد التاريخي والتحقيق العلمي والخطة العملية وانها لجديرة بالنشر والتداول والاطلاع من العلماء والمتعلمين والمربين.

جزى الله الأخ المؤلف خير الجزاء وأصلح للأمة شأنها وجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

في ١١ جادى الآخرة سنة ١٤٠٧ هـ — الفقير إلى عفو الله

الزيدية — محمد علي عجلان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل المساجد بيوته المرفوعة في الدنيا، ومقراً لذكره ومكاناً لتسبيحه في الصباح والمساء، وجعلها محل تعلق، وموضع ارتباط لعباده المؤمنين الذين لم يجعلوا للدنيا قيمة، ولا لبهارجها اعتبار، فكانوا هم الرجال المثنى عليهم من ربهم بقوله.. ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور: آية ٣٦].

وأشهد أن لا إله إلاّ الله المعبود بحق الذي خضعت له الجباه وعنت له الوجوه وخشعت له الأصوات، اعترافاً له بالعبودية والفضل والإحسان.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله القائل: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»[(١)] صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد فقوي إيمانهم ورسخ يقينهم، وصلح صالحهم في الدنيا والآخرة فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

أمّا بعد: إن أي موضوع يطرح للبحث والدراسة تظهر قيمته من أهميته ومكانته، ومدى حاجة الناس إليه. وموضوعنا الذي نريد أن

---

(١) كنز العمال ٦٥١/٧.

نتحدث فيه لشبابنا ورجال عصرنا من الأهمية لدى المسلمين بمكان وحاجتهم إلى التذكير به والتعريف برسالته شديدة وملحة - كيف لا يكون كذلك وهو شعار دينها، ورمز وحدتها، ومنبع تلقيها لتعاليم دينها ومحل صلتها بربها، والمهيمن على سلوكيات حياتها وذلك هو «المسجد».

المسجد الذي قلَّت عناية كتاب العصر للتعريف به وبرسالته في المجتمع وأثره على حياة الأمة وسلوكها، حتى غدا الاهتمام بشأنه لدى كثير من بلاد الإسلام ضعيف، وإحاطة الناس بدوره وأثره في الحياة غير متكاملة وكادت أن تنسى. وأصبح المسجد جسداً لا روح فيه، وشكلاً لا مضمون له وانحسرت رسالته في أداء الصلاة والذكر وتعليم بعض أمور الدين. وعزل عن واجبه في سائر مجالات الحياة.

واهتبل العدو هذه الفرصة على حين غفلة من المسلمين أو تغافلهم واشتغالهم بأنفسهم وأمور دنياهم فروج لهذا الانحسار، وأثار الشبهات حول المسجد ورسالته الشاملة والتشكيك فيها مستخدماً ما يملك من قوة ووسائل دعاية وأساليب التضليل كما فعل في كثير من مواضيع الإسلام الهامة وأسسه وركائزه.

لذلك أحببت أن يكون لي دور المساهمة مع من كتب وهم قلة قليلة، والتذكير لمن غفل لعلهم يتذكرون والذكرى تنفع المؤمنين، والبيان في جانب من جوانب رسالة المسجد وأهمها لعل ذلك يكون منبهاً وموقظاً لأمتنا الإسلامية للعناية بهذا المرفق الحيوي في حياتها ومن تمكنها من الأرض وقيادتها للعالم وأستاذيته. واخترت أن يكون موضوع الحديث عن المسجد وعن أثره في تربية الأجيال الناشئة وتكوينها، راجياً من ربي التوفيق لقول

الحق والصواب وأن أصل بالسامعين والقارئين إلى الذكرى النافعة والتذكير المفيد. وسأخص في الحديث عن المسجد الموضوعات الآتية:

* **لمحة تاريخية عن المسجد ودوره في حياة الأمة المسلمة.**
* **حاجة الأمة المسلمة إليه.**
* **رسالة المسجد.**
* **أثره في تربية الأجيال وتنشئتها.**
* **المؤامرات المحاكة ضد المسجد وفي أي شيء تمثلت.**
* **واجبنا اليوم تجاهه.**

وقبل الحديث عن الموضوعات المشار إليها أذكِّر أمتنا الإسلامية وقادتها خاصة بالتالي.

إن استقراءنا لتأريخ الأمة الإسلامية من أول يوم كون فيه الرسول ﷺ أمة، وأوجد فيه وطناً، وأنشأ فيه للناس دولة نلمس أن عناصر القوة للأمة، ورمز ثباتها واستقرارها، وامتداد سلطانها يكمن في محافظتها على أمور هي:

١ - **الخلافة الراشدة**: والتي تمثلها قيادة واحدة شرعية قوامها القرآن والسنة والشورى وتحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه في هذا الوجود ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: آية ٥٥].

٢ - **الأخوة الإسلامية**: الممثلة في وحدتها العقائدية، والاجتماعية، والسياسية. قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: آية ١٠٣].

٣ ـ الدستور: الممثل في الشريعة الإسلامية والتي شملت جميع جوانب الحياة، وتميزت بالكمال والشمول ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية: آية ١٨].

٤ ـ الجهاد: الممثل في الحركة الدائبة المستمرة لنشر الإسلام وحماية المسلمين قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة: آية ٢٤].

٥ ـ المسجد: محضن التربية والمعين الذي لا ينضب في عطائه وتأثيره، وفي تغذيته لتلك المقومات للأمة الإسلامية والمحافظة عليها في كل زمان ومكان: وفي الحديث «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والشاذة وإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة، والعامة، والمساجد» رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات كما في مجمع الزوائد ٥/٢١٩.

لقد أدرك اعداء الإسلام سرّ قوة المسلمين فيما ذكرنا فوجهوا الضربات المتلاحقة المتتالية إليها مجتمعة من أجل إضعاف الأمة وزعزعة كيانها والقضاء على خلافتها وإيجاد حاجز بينها وبين تطبيق شريعتها، وإضعاف معنوياتها لكي تضعف عن أداء واجب الجهاد للحماية والدفاع ونشر الإسلام ونجحوا في كثير مما ذكرنا، وكان المسجد هو الآخر ممن توجهت إليه ضربات الأعداء بقوة وشراسة ومن غير هوادة.

إلا أنه ولله الحمد رغم المحاولات الشرسة فهو لا يزال وسيبقى أمل الأمة الإسلامية معقوداً عليه لأنه معقل إيمانها، ومنطلق تحركها، ومقر إعلان عبوديتها الخالصة لله وحده. وفيه يتلقون هذا التوجيه ﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: آية ١٦٢].

نعم لقد بقي المسجد ببنائه الشامخ وصرحه المنيع الرمز الذي يشد المسلمين إليه رغم ما أحدث اعداء الإسلام من الأبنية الفاتنة المغرية الملهية ـ وما أشبهها بمسجد الضرار ـ بغرض إخراج المسلمين من المسجد وإدخال المسلمين في تلك الأبنية. وبقي الحبل الذي يصل الناس بربهم رغم محاولة الأعداء لقطع الصلة به من خلال زخارف الدنيا وبهارجها.

ولا يزال يمدّ المسلمين بروحه وأمنه، وبقي المعتصم لكل نازلة ونائبة وإليه يرجعون في تصحيح الإيمان، وصفاء التلقي، وحسن التطبيق، وسلامة السلوك، وحسن الأخلاق وهداية الناس إلى الصراط المستقيم فهو لا يزال وسيبقى ما بقي الإسلام وفي الحياة من يستمسك بالدين.

لمحة تأريخية عن المسجد في الإسلام
ودوره في حياة الأمة المسلمة

المسجد قديم وتأريخه مرتبط بنزول الدين الحنيف واستجابة الناس له، وما ذاك إلّا أنه ببنائه القائم الشامخ يرمز إلى دينونة العباد للإسلام واستقامتها على مبادئه الحنيفية في كل زمان ومكان قال تعالى: ﴿إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران: آية ٩٦، ٩٧].

وقال تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف: آية ٢٩].

ومن أبرز المساجد وأشرفها على الإطلاق المسجد الحرام ثم المسجد النبوي ثم المسجد الأقصى هذه المساجد الثلاثة هي التي قال فيها الرسول ﷺ: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» هي قلاع الإسلام ولا زالت وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالمسجد الحرام

قبلة المسلمين، ورمز التوحيد، الحرم الآمن الذي تهوي إليه الأفئدة وتحب أن تنعم في رحابه باعلان العبودية الخالصة لله وحده ومباشرة

الاتصال بالله، وهو رمز الطهر وأداء الشعائر والصلوات قال تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ [البقرة: آية ١٢٥] وهو أول مسجد أقيم في الأرض من أجل إقامة التوحيد، وأرسيت قواعده إرساءاً لقواعد الدين الحنيف، واكتمل بناؤه ليكمل الدين الحنيف بآخر ولد إبراهيم محمد بن عبدالله ﷺ وبرسالته تجددت المعالم بعد انطماسها وأحييت الأخلاق بعد موتها وتحققت العمارة للمسجد الحرام بناءاً وعبادة بعد أن ظنها المشركون متمثلة في إقامة الجدران والسقوف فحسب. قال تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ [التوبة: آية ١٧، ١٨].

أما المسجد الأقصى:

فهو أولى القبلتين ومسرى رسول الله ﷺ إلى السماوات العلى إلى حيث شاء الله، وهو قبلة من سبقه من الأنبياء والمرسلين ومنطلق رسالتهم ودعواتهم لدين الله. وأبقى الإسلام لهذا المسجد مكانته العظيمة وغرسها في نفوس اتباعه حيث جعل له من الفضل ما لم يصل إليه مسجد إلّا المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وما ذاك إلّا أنه مصدر إشعاع ومكان ذكرى لرسالة واحدة أُرسل بها أنبياء ورسل كثيرون حتى كان خاتمها نبينا محمد ﷺ الذي أرسل في مكة مقر المسجد الحرام وأُمر بالرحلة إلى المسجد الأقصى إيذاناً بالاتصال بين المسجدين، وإشعاراً بوحدة الرسالة

وموطنها. قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ [الإسراء: آية ١].

المسجد النبوي:

وتنفيذاً لأمر الله، وتحقيقاً لقضائه وإرادته هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة عندما أخرجه قومه من مكة مقر المسجد الحرام فكان أول عمل قام به الرسول ﷺ في المدينة بناء المسجد الثالث لكي يجد فيه المؤمنون راحتهم، ويناجون فيه ربهم ويتعلمون فيه الأحكام والسنن، ويتعرفون فيه على الحلال والحرام، وينطلقون منه لنشر الدعوة وتعلم الإسلام. فكان المسجد الذي جمع الله فيه لعباده بين خيري الدنيا والآخرة وجعله ثالث مسجد تشرفت بهم الأرض وسعدت بهم الحياة وعزت بها الأمم فهو ثالث الحرمين والصلاة فيه تعدل ألف صلاة فيما سواه.

هذا المسجد الذي بني باللبن وكان سقفه الجريد وأعمدته الجذوع ببنائه المتواضع أخرج قادة العالم وساستها، ومعلمي الدنيا وموجهيها، بهم ذاقت البشرية طعم الحرية وحلاوة العدل، ونعيم الأمن والاستقرار.

استمر هذا البناء يعطي ولا ينضب عطاؤه وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

جاء الخليفة أبو بكر فجدد بناءه ولم يزد عليه شيئاً، ثم جاء عمر الخليفة الثاني ووسعه بنفس البناء إلا أنه جعل عمده خشباً. ثم جاء الخليفة الثالث عثمان وزاد فيه وبني جداره بالحجارة المنقوشة وسقفه من الساج[1].

(١) انظر جامع الأصول لابن الأثير ١/١٨٥.

وهكذا استمر حال المسجد ببنائه المتواضع وعطائه العظيم حتى تغيرت أحوال الناس فأعياهم بناء النفوس على الخلال الجميلة، فاستعاضوا عن ذلك البناء المتواضع ببناء المساجد السامقة ذات الشرف والزخرفة والتلوينات الفاتنة، والكتابات الجميلة حتى أصبحت المساجد تضم مصلين أقزاماً أغلبهم جاهلون.

أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشييدها إلى تربية أنفسهم وتقويمها فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام.

والمسجد الذي وجه الرسول ﷺ همته إلى بنائه قبل أي عمل آخر بالمدينة ليس أرضاً تحتكر العبادة فوقها بل الأرض كلها مسجد والمسلم لا يتقيد في عبادته بمكان، وإن كان للمسجد من القيمة والمكانة في العبادة ما لم تكن في سواه.

لقد بقي المسجد على عهد رسول الله ﷺ رمزاً لحيوية الأمة المسلمة وعمود إيمانها. لقد كان ارتياد المسجد والمداومة عليه علامة إيمان «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» أخرجه أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد. انظر كنز العمال ٧/٦٥١.

والتخلف عن المسجد والصلاةِ فيه مع رسول الله ﷺ والتخلف عن مجالس رسول الله ﷺ في المسجد للتزود بزاد الإيمان والتقوى كان ذلك علامة نفاق يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض. إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة» وقال: «إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه» أخرجه مسلم.

كانت القلوب معلقة بالمسجد لا تخرج منه إلا وهي في شوق للعودة إليه

وهذا ما يتعلمه المؤمنون من رسول الله ﷺ ويتربون عليه ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وفيه «رجل قلبه معلق بالمساجد» متفق عليه.

ومن بعد رسول الله ﷺ خلفه صحابته وتلاميذ تربيته ورواد مسجده فكان الصحابة رضوان الله عليهم تلاميذ مدرسة النبوة التي مقرها المسجد هم أساتذة الناس ومعلموهم الخير، والقادة الذين يجمعون الناس على ما جمعهم عليه رسول الله ﷺ.

فالتاريخ قد ذكَرَ لنا في صفحاته أن الصحابة الكرام قد تفرقوا في الأمصار والبلدان المختلفة فحيث ما وجد مسلمون جعل الصحابي مقرهُ المسجد ليربي الناس على ما رباه عليه رسول الله ﷺ، ويعلمهم القرآن، ويؤدبهم به، وينقل إليهم هدى رسول الله ﷺ كما تعلمه منه.

ولقد تخرج على أيديهم جيل خيرٍ صالح، من التابعين رضي الله عنهم جميعاً، وخلفوا الصحابة بعد ذلك في أداء الأمانة فكانوا من خير القرون: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1] (الحديث) وأشتهرت في التاريخ مساجد كان يلتقي الناس فيها حول هؤلاء التابعين، وتكون من المساجد مدارس إسلامية في علوم القرآن والسنة وغيرها مما تفرع عنها في كل من المدينة، والعراق، وبلاد الشام، ومصر، واليمن، وبلاد الأندلس وغيرها مثل: الجامع الأموي، وجامع المنصور وجامع قرطبة، وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، والجامع الأزهر، وجامع صنعاء، وجامع الأشاعر بزبيد وغيرها من المساجد المشهورة في المعمورة.

(١) متفق عليه.

واستمر تلاميذ التابعين في القيام برسالة المسجدتربية وتعليماً وتوجيهاً في مختلف مجالات الحياة وقد ذكر المقدسي أنه أحصى في مسجد القاهرة وقت العشاء مائة وعشرة مجلساً من مجالس العلم وكان جامع المنصور ببغداد وهو أقدم مسجدٍ جامعٍ بها أشهرَ مركز للتعليم في المملكة الإسلامية حيث كانت تعقد فيه مجالس علم لعبد الله بن المبارك ما بين ثلثمائة وسبعمائة فقيه، وكذلك كانت تعقد مجالس علم لكثير من العلماء وفقهاء التابعين ومحدثيهم في سائر المساجد والجوامع وقد ظل التعليم في بعض هذه المساجد طوال أربعة عشر قرناً من الزمان وما يزال حتى اليوم كـالحلقات التعليمية في المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي بالمدينة والأزهر بمصر وجامع صنعاء بصنعاء وجامع الأشاعر بزبيد.

وكانت هذه المساجد في الحقيقة جامعات ذات مناهج محددة تتسم بالحرية العلمية والتنوع فيما يدرس من علوم دينية ودنيوية.

وبهذه الحلقات العلمية ومجالس التدريس في المساجد ضُمِنَ للأمة الإسلامية الأكفاء من العلماء من ناحية، والحرية لأهل العلم من ناحية أخرى، لأن العلم كان يؤخذ من أجل تحقيق العبادة لله والعلم يبذل في سبيل الله ووجهه، وما كان لدول الخلافة أو دول السلاطين أية مسؤولية عنه، حتى في عصر الخلفاء الراشدين، وإنما كان العلم من اختصاص الأفراد والجماعة المسلمة فكانت الجماعة المسلمة تتكفل بمعاش المعلمين سواء كانوا معلمين صغاراً يعلمون الصبيان القراءة والكتابة ويحفظونهم القرآن أو شيوخاً أجلاء يقرؤن علمهم على طلابهم في المسجد في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب وغيره.

ولم نسمع أو نقرأ في التأريخ أن الدولة قررت راتباً لمعلم أو شيخ إلا ابتداءاً من منتصف القرن الخامس الهجري.

وإنما كان العلماء يعتمدون في المعيشة على أنفسهم والبعض على الجماعة والبعض الآخر على الجوائز والصلات بين الحين والحين من الخلفاء والأمراء وهذه الأخيرة ما كانت مرتبات ثابتة كما هو معهود اليوم، مع أن كثيراً من أغنياء المسلمين كان يعتمد من الأوقاف لمثل هذه الحلقات والدروس ما فيه كفاية للشيخ العالم والطالب المتعلم ولا تزال إلى اليوم.

ولذلك كان رجال العلم كما أعدهم مجتمعهم الإسلامي. دون أن يكون للخلفاء والسلاطين والدول أي فضل في إعدادهم. فالمسجد مقر تعليمهم، ونفقتهم من كسبهم أو مما وقفه المسلمون عليهم أو من عطاء أغنيائهم. ولذلك كان العلماء يبلغون العلم وينشرونه ويدعون إلى الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من غير أن يخافوا في أداء ذلك كله لومة لائم ولا يهابون من سلطان غاشم ولا يجاملون صاحب جاه أو غني.

ولم يقتصر المسجد في أول الإسلام على كونه مقراً للعبادة ومكاناً للتعليم بل استخدمه المسلمون الأول مقراً للقضاء. لا لأن الدولة كانت عاجزة عن انشاء دور للقضاء بل لأن القضاة وأهل الورع أرادوا أن يُسَيِّروا القضاء في طريقه بعيداً عن تأثير الدولة ورجالها فجلسوا في المساجد ـ وهي ملك للجماعة ـ واتخذوها مقراً للقضاء ومكاناً للتقاضي. ومن المعلوم أن القضاة أنفسهم هم الذين قرروا مبدأ إجراء القضاء في المساجد. وقضاتنا الأول في المدينة وعواصم الإسلام الأولى لم يطلبوا من خلفائهم أن ينشئوا لهم داراً للقضاء بل اتخذوا مجالسهم في المساجد قصداً وعقدوا مجالسهم فيها

علنا وأصدروا أحكامهم ولم يتركوا للدولة إلا موضوع تنفيذ الأحكام عن طريق أعوان يقفون خارج المسجد تحت تصرف القاضي.

وتحت سقف المسجد وبين أفراد الجماعة الإسلامية أحس القضاة أنهم أحرار وأنهم يخدمون الجماعة بتطبيق شرع الله أحراراً من كل قيد، وبلغ تمسكهم بهذا المبدأ أن الكثير منهم كانوا يتعففون عن تناول أجر على القضاء وذلك حتى يكونوا أحراراً تماماً في إصدار أحكامهم.

وعندما تقرر مبدأ الرواتب للقضاة والعلماء لم تعد ثقة الجماعة في قضاتها وعلمائها كما كانت من قبل كما أنها أسقطت احترامها عمن شكت في نزاهتهم من العلماء والقضاة الذين خرجوا عن الطريق السوي أو تخلى عن سمت أهل العلم.

يقول حسين مؤنس: ولدينا مثل جماعي لهذه الحقيقة لا يقبل الشك هو: أن نفرا من أهل القضاء والعلم في إفريقية (تونس) انضموا إلى الفاطميين عندما قامت دولتهم هناك أواخر القرن الهجري الثالث فاعتبرتهم الجماعة خارجين عليها وعلى نظامها فأسقطتهم من اعتبارها بل عدّت بعضهم كفاراً ولم ينفعهم بعد ذلك تأييد خلفاء الفاطميين من شيء فقد سقطوا من أعين الجماعة سقوطاً نهائياً[1].

وأثبت لنا التاريخ أن المسجد في القرون الأولى كان مكاناً يواسَى فيه الفقراء ويُطْعَمون، ويضاف فيه الغرباء ومنه ينطلقون للإكرام وللتعرف على علماء البلد ووجهائها كما ذكر لنا ذلك الرُّحَّال من المسلمين مثل: المقدسي، وابن جبير، وابن رشد، وابن بطوطة وغيرهم.

---

(1) المساجد ص ٣٧ - ٣٨.

«وكان الأطباء المسلمون يعالجون فيه المرضى ويعطونهم الدواء دون مقابل أو قيمة بل كانت تخصص أماكن من المساجد تودع فيها الأدوية والمشروبات العلاجية كما كان ذلك في جامع قرطبة وغيره لصرفها على الدارسين والمصلين إذا انتابهم المرض.

وفي سيرة أحمد بن إبراهيم الجزار وهو من أعظم أطباء المسلمين في وقته وكان قيراونيا أنه كان يخرج بعد صلاة العشاء ويقف على باب الجامع ليداوي المرضى من الفقراء وكان يصطحب عبداً يحمل أصناف الأدوية فيعطيهم منها ما يرى، وكان يعمل ذلك حباً في الله وبراً بأمة محمد ﷺ وعلى هذا كان كثير من صلحاء أهل الطب»[1].

وهكذا استمر المسجد ينبوع صلاح، ومورد إيمان، ومقراً للخيرات حتى أطلت على المسلمين بوادر عهد جديد ينذر بخطر شديد من ضعف من الإيمان، وتهاون بالدين وقلة في الرجال المخلصين الذين يواصلون القيام بهذه المهمة، والتربية الربانية، والتعليم النافع والعمل الصالح المستمد من نهج الرسول الكريم وصحبه الكرام.

أصبحت المساجد بين مدّ وجزر على تعاقب عصور غير قليلة حيث طغت الأغراض الدنيوية حيناً على بعض المنظمين لرواد المساجد ممن يسمون أنفسهم علماء فتنقلب حلقاتهم ومجالس علمهم موارد للرزق ومعاقل للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الرأي الشخصي وحيناً يحلو لبعض أصحاب السياسات من الحكام وذوي السلطان في أن تمتد أيديهم إلى المساجد فتكبت نشاطها بالإغلاق إلّا في وقت الصلاة وتحدّ من نشاط علمائها إلا فيما يرغبون ويهوون. وتنكل بالدعاة المخلصين الذين يريدون

---

(1) المساجد: ص ٤٠.

للمسجد أن يؤدي دوره في بناء الأجيال إيماناً وعلماً وعملاً وحركة وجهاداً وفي توجيه المجتمع إلى ما يصلحه دنيا وآخرى، يفعلون ذلك مضاهاةً لأعداء الإسلام الذين فصلوا الدين عن الدولة والدنيا عن الآخرة.

فكان من نتائج ذلك السيئة أن فارقت روح المسجد كل تلك العلوم والمعارف التي كانت تدرس فيه وتلك النشاطات المتنوعة في الاجتماع والسياسة، والجهاد.

فخرج القضاء من المسجد ففارقته روح المسجد من الورع والتقوى، وخرج العلم والتعلم عن المسجد ففارقته روح المسجد من الإخلاص والصلاح.

وخرجت الشورى والمناصحة بين المسلمين عن المسجد ففارقته روح المسجد من الوحدة والوئام وسداد الرأي وعدم الاستبداد.

وخرج إعداد الجيوش للجهاد في سبيل الله عن المسجد ففارقته روح المسجد من البذل والتضحية والاستشهاد.

وهكذا كل عمل خرج عن المسجد ففارقته روح المسجد، وإذا فارقت روح المسجد عملاً من الأعمال فماذا بقي لهذا العمل من أسباب النجاح والفلاح.

وروح المسجد التي نعنيها والتي بدونها نفقد النجاح والفلاح هي تلك المعاني السامية التي يدعو إليها الإسلام وهي الاقتداء برسول الله ﷺ في كل الأمور صغيرها وكبيرها وهي الالتزام بكل ما جاء به الرسول ﷺ والانتهاء عن كل ما نهى عنه. ورغم هذا المد والجزر في أداء المسجد لرسالته على مدار التاريخ فقد أكد لنا التأريخ بل والواقع أن المسجد لا يزال معطاءاً

وحصناً منيعاً، وثورة عارمة على الفساد والافساد، ومقاومة الباطل ومصارعته، ولا يزال ينجب القادة والمجاهدين، والعلماء والدعاة المخلصين في كل زمان ومكان، ولا يزال معتصم المسلمين وقلعتهم الحصينة متى تنزل بهم نكبة أو نازلة فيرفعون منه راية الإسلام ويجتمعون فيه على اعلاء كلمة الله والشواهد على ذلك كثيرة فمقاومة الغزو الصليبي الأول انطلقت من المسجد وصد هجمات التتار انطلقت من المسجد، ومعظم الحركات التحررية ضد الغزو الصليبي اليهودي الثاني ـ أي ضد المستعمرين الذين وطئت جيوشهم منذ قرن أو أكثر معظم البلاد الإسلامية ـ انطلقت من المساجد، فقد انطلقت الثورة السورية من أكبر مساجد المدن السورية، وانطلقت ثورة الجزائر من الكتاتيب والمدارس الإسلامية في المساجد والمقاومة الحالية لشعب فلسطين المحتل ضد اليهود تثور في كثير من أحيانها من المسجد الأقصى الأسير ـ وسائر المساجد في فلسطين المحتلة وفي لبنان.

ورفض ـ قرار إسرائيل لاحتلال مدينة السويس في حرب رمضان الشهيرة ـ أعلن من المسجد واستمر المسجد في مقاومته لليهود حتى كتب الله له النصر بعد أن كبد العدو خسائر فادحة في السلاح والأرواح. والحركة الجهادية القائمة في أفغانستان انطلقت من المسجد ولا تزال المساجد تمدّ المجاهدين بالروح المعنوية مما جعلها تصمد في وجه العدو الشرس هذه المدة الطويلة وكبدته خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ونصر الله قريب. وهكذا أي حركة إسلامية ضد الاستعمار والفساد تجد أن غالب أول شرارة ودعوة تنطلق من المسجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

تلك لمحة موجزة عن تأريخ المسجد ودوره وأثره في المجتمع الإسلامي على مدار التأريخ وهو لا يزال نبراساً ومعلماً لأمة الحاضر إن أرادت ذلك وما التوفيق إلاّ من عند الله العزيز الحكيم.

حاجة الأمة الإسلامية إلى المساجد

إن حاجة الأمة الإسلامية إلى المسجد نابع من حاجتها إلى العقيدة الصافية والتمسك بالمثل والقيم والأخلاق، والالتزام بالشرع وأحكامه واستقامتهم على العبودية الخالصة لله سبحانه وهذا كله لا يتم بعيداً عن المسجد.

ولهذا كان اهتمام رسول الله ﷺ بالمسجد عظيماً، إذ أنه ما فتىء يحط رحله حين وصل المدينة المنورة ـ وطن الإسلام وعاصمته ـ وهو يقبل على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك يتألف من هؤلاء المسلمين ـ الأنصار والمهاجرين ـ الذين جمعتهم المدينة المنورة حتى حدد موضع المسجد وخطط لبنائه وإقامته وشرع في تنفيذه.

لأنه يعتبر المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي المتماسك. وإن حاجة الأمة المسلمة إلى المسجد لا تقل أهمية عن حاجتها إلى الإسلام نفسه. ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه.

وإن من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين ولكن شيوع هذه الأصرَة لا تتم إلا في المسجد، فما يتلاقى المسلمون يومياً على فترات متعددة لا تقل عن خمس مرات في بيت من بيوت الله إلا وقد

تساقطت بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار. بينما لا يمكن لروح التآلف والتآخي وحدها أن تؤلف بينهم. وإن من نظام الإسلام وهديه أن تشيع روح المساواة والعدل بين المسلمين في مختلف شؤونهم وأحوالهم، ولكن شيوع هذه الروح لا يمكن أن تتم ما لم يتلاق المسلمون كل يوم صفاً واحداً بين يدي الله عز وجل وفي بيت من بيوته وقد وقفوا جميعاً على صعيد مشترك من العبودية، وتعلقت قلوبهم بربهم الواحد جل جلاله.

وإن انصراف المسلم إلى بيته ليعبد الله بقيامه وركوعه وسجوده دون وجود ظاهرة المشاركة والاجتماع في العبادة ـ صلاة الجماعة والجمعة ـ لن يحقق هذا الغرض كاملاً إذ أن معنى العدالة والمساواة أن يتغلب المجتمع على معاني الأثرة، والتعالي والأنانية وهذا لا يتحقق إلّا في ظل المسجد.

وإن من نظام الإسلام وتوجيهاته أن ينصهر شتات المسلمين في بوتقة من الوحدة الراسخة يجمعهم عليها حبل الله الذي هو حكمه وشرعه، ولكن ما لم تقم في أنحاء المجتمع مساجد يجتمع فيها المسلمون على تعلم حكم الله وشريعته ليتمسكوا بها عن معرفة وعلم فإن وحدتهم تؤول إلى شتات وسرعان ما تفرقهم عن بعض الشهوات.

إن من ركائز المجتمع المسلم بناء الفرد المسلم الملتزم، والبيت المسلم الملتزم، ومن أهم واجبات البيت المسلم أن ينشيء أجيالاً صالحة من البنين والبنات وتربيتهم التربية التي تمكنهم في المستقبل أن يكوّن كل منهم بيتاً إسلامياً راشداً يعرف أبناؤه وبناته طريقهم إلى ربهم وإلى دينهم وإلى كل ما يصلح دنياهم وآخرتهم، وقد جعل ذلك فريضة لازمة على البيوت الإسلامية في أن تربي أبناءها وبناتها تربية إسلامية، نابعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي لا تقدر أن تستقل بهذه التربية على منأى عن المسجد. فالمسجد يشاركها في ذلك مشاركة إيجابية هادفة يقدم فيها مما عنده من دروس لا تقل عن خمس مرات في

اليوم والليلة فيغرس في نفوس الناس من الصفات والفضائل ما وجهتهم إليه البيوت الإسلامية في صغرهم وما تعجز عنه هـذه البيوت في بعض الأحيان وخاصة في كبرهم.

ولذلك كله كان الارتباط بين البيت المسلم والمسجد ارتباطاً وثيقاً لا يسمح لأحدهما بأن يستغني عن الآخر.

فالبيت المسلم ينجب الأبناء ويـرعى طفولتهم ونشـأتهم الأولى، ثم عليه بعد ذلك أن يدفع بهم إلى المسجد عندما يشبون ويتجاوزون مرحلة الطفولة ليصيغهم صياغة ربانية وينشئهم تنشئة إسلامية.

البيت المسلم يغرس في نفوس النشء الفضائل والآداب منذ نعومة أظفارهم والمسجد يتلقى هـذه الأجيال فيصقلها بالعبادة والخشوع لله والتدبر والتفكر في ملكوته سبحانه ويطبعهم على الجدية والرجولة.

وفي المسجد تتعلم الأجيال الصاعدة كيف تهدأ أو تسكن وترعى حرمة المساجد، فلا صياح ولا صخب ولا حديث بأصوات مرتفعة ولا بيع ولا شراء ولا نشدان ضالة أو نحو ذلك.

وفي المسجد تتعلم الأجيال النظام والدقـة والاستواء والانخـراط في صفوف مع المسلمين وفيه التبكير بالذهاب إليه وهو درس في الاستباق إلى الخير بإدراك الصف الأول لغير الصبيـان. وفي المسجد يتعلم النـاس التواضع والمساواة والعطف والبر والالتزام بكل واجب والطاعة والامتثال.

وفي المسجـد يتعلم النـاس جميعـاً صغـاراً وكبـاراً يتعلمـون العلم ويتفقهون في أمور الدين ويعلمون من أحوال إخوانهم المسلمين في البلاد النائية ما لا بد أن يعلموه عنهم حتى يمدوا إليهم يد العون إن كانوا في حاجة

إلى العون. والرأي والمشورة إن كانوا محتاجين إلى رأي ومشورة، وإن خطبة الجمعة ودرس المسجد الذي تلقى فيه لمن أهم وسائل تحقيق هذه الأمور وهكذا كانت الخطبة ودروس المسجد على عهد رسول الله ﷺ ولـو فعل ذلك خطباء المساجد ومدرسوه لعصموا شبـاب المسلمين عن الانحـراف ولحجـزوهم عن الانسياق وراء المذاهب الهدامة الخادعـة، والتيـارات الفاسدة وحالوا بينهم وبين الانحراف عن الحق الذي لا حق سواه وهو الإسلام. وفي المسجد يتعلم الناشىء كيف يتفقد أخاه المسلم في الصلاة إذا غاب عن المسجد فيعوده إذا مرض ويعينه إن وجده محتاجاً إلى عون. وهذا تدريب عملي على واجبات الأخوة الإسلامية وهو درس في المودة والألفة التي تجب أن تسود علاقات المسلمين بعضهم ببعض وتحكم مسارها.

وفي المسجد تنصقل شخصية المسلم ويزول عنها ما يحتمل أن يكون قد علق بها من عيوب اجتماعية كالانعزالية والتواكلية والأنانيـة حيث يهيء المسجد لرواده مجال الانطلاق في المجتمع والتعرف على الناس والتآخي معهم ومناصرتهم ما داموا على الحق. من أجل ذلـك كله كانت حـاجة المسلمين أفراداً وجماعات وحكاماً وقادة إلى المساجد شديدة وكان إسراع رسول الله ﷺ قبل كل شيء إلى بنائه حال وصوله إلى المدينة دليلاً واضحاً على ذلك وسرعان ما غدا المسجد رمزاً لما يتسم به الإسلام من شمولية وتكامل. فأصبح مركزاً روحياً لممارسة الشعائر التعبدية، ودائرة سياسية لتوحيد علاقة الدولة في الداخل والخارج ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحته أصحاب رسول الله ﷺ وتدار في بحبوحته الندوات وتلقى على منبره المتواضع التعاليم والكلمات، ومؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيه النظام والمساواة ويمارسون التوحد والإخاء والانضباط.

لقد كان بناء المسجد بمثابة الخلية الأولى لبناء الأسرة وتكوين الجماعة لإقامة مجتمع إسلامي متكامل بوصفه أداة صهر للمؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة من خلال الأعمال التعبدية، والأنشطة العلمية والاجتماعية والسياسية والجهادية. فغدا المسجد للمسلمين جميعاً ضرورة دينيه، وضرورة سياسية، وضرورة اجتماعية لا يستطيعون الفكاك عنه ولا يرضون بالحرمان منه كسائر الأمور الضرورية للإنسان والله أعلم.

رسالة المسجد ووظيفته في مجتمع الأمة الإسلامية

رسالة المسجد رسالة شاملة مستمدة من رسالة الإسلام نفسه أبان عنها القرآن الكريم وفصَّل مراميها رسول الله ﷺ في سنته قولاً وفعلاً وتقريراً وعاشها واقعاً في الحياة صحابة رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون، والتابعون لهم في القرون الأولى المفضلة، وأحياها من بعدهم علماء الأمة في كل العصور والأزمان ينعمون بأفيائها، ويواجهون كيد الأعداء ومكرهم لحجبها أو طمسها وهذا بيان ذلك وإيضاحه.

أولاً: القرآن الكريم:

ففي القرآن الكريم نوافى عن المساجد بالمعاني التالية:

١ ـ المساجد مقر إعلان العبودية لله وإخلاص توحيده ودعائه. قال تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وادعوه مخلصين له الدين، كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف: آية ٢٩].. وقال: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: آية ١٨].

٢ ـ المساجد بيوت الله المرفوعة لأداء الشعائر التعبدية من ذكر وتسبيح بالغدوِّ والآصال وصلاة وزكاة ونحوها. قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور: آية ٣٦ ـ ٣٧].

٣ ـ المساجد مقر استمداد التقوى وملجأ المتقين المتطهرين ﴿لمسجد أسس عل التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطَّهِّرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [التوبة: آية ١٠٨ ـ ١٠٩].

٤ ـ المساجد معمورة بإيمان المؤمنين وعبادتهم وحسن أعمالهم وصدق خشيتهم لله لكي ينالوا الهداية ويكسبوا رضوان الله قال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ [التوبة: آية ١٨].

٥ ـ المساجد مكان إظهار نعمة الله والقيام بشكره قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: آية ٣١].

ثانياً: السنة:

ففيها مزيد بيان وتفصيل وأجمل ما وقع عليه النظر منها في المعاني التالية . . . المسجد أحب بقاع الأرض إلى الله سبحانه وتعالى(١) وهو قلعة الإيمان وحصن الفضيلة وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم(٢) وهو بيت

(١) انظر حديث أبي هريرة في صحيح مسلم ٤٦٤/١ باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد.

(٢) انظر حديث أبي واقد الليثي في صحيح البخاري ١٢٨/١ باب الحلق والجلوس في المسجد.

الأتقياء(١) ومكان اجتماع المسلمين يومياً ومركز مؤتمراتهم ومحل شوراهم وتناصحهم، والمنتدى الذي فيه يتعارفون ويتآلفون وعلى الخير يتعاونون ومنه خرجت جيوشهم تفتح مشارق الأرض ومغاربها، وإليها يرجع المسافر أول ما يرجع(٢) فيه السلوى(٣) وفيه يعزي المسلم أخاه إذا أصابه مصاب. ومنه تخرج العلماء والفقهاء، وفيه كان الجرحى يمرضون(٤) وبسواريه كان الأسرى يربطون(٥) ومن رحابه كان التقاضي والقضاء(٦) ومحاسبة الخلفاء والأمراء، وفيه كانت الملاعنة تجري بين الزوجين المتلاعنين(٧)، وفيه كانت تتم قسمة الغنائم والأخماس وتوزع الزكاة(٨) وفيه كان المحسنون يعلقون

(١) انظر كنز العمال ٦٥٩/٧ إن المساجد بيوت المتقين. أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء.

(٢) انظر صحيح مسلم ٤٩٦/١ باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه. في حديث جابر وحديث كعب بن مالك.

(٣) انظر حديث عائشة في صحيح البخاري ١٢٣/١ باب أصحاب الحراب في المسجد.

(٤) انظر حديث عائشة وضرب النبي ﷺ خيمة لسعد في المسجد في صحيح البخاري ١٢٥/١ باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم.

(٥) انظر حديث أبي هريرة في صحيح البخاري ١٢٥/١ باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد.

(٦) انظر حديث كعب في صحيح البخاري ١٢٤/١ باب التقاضي والملازمة في المسجد.

(٧) انظر حديث سهل بن سعد في صحيح البخاري ١١٥/١ باب القضاء واللعان في المسجد بين الرجال والنساء.

(٨) انظر حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري ١١٤/١ باب القسمة.

العذق ليأكل منه الجائعون والغلمان[١] وفيه يستضاف الغرباء[٢]، وفيه كان يغذى الفقراء[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن المساجد: وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة، والقراءة، والذكر، وتعلم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم.

وكذلك كان عماله ﷺ في مثل مكة، والطائف، وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى. وكذلك عماله على البوادي فإن لهم تجمعاً فيه يصلون وفيه يساسون كما قال ﷺ «إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما ذهب نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تعرفون وتنكرون قالوا فما تأمرنا قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول واسألوا الله لكم فإن الله سائلهم عما استرعاهم.

وكان الخلفاء والأمراء يسكنون في بيوتهم كما يسكن سائر المسلمين في بيوتهم لكن مجلس الإمام الجامع هو المسجد الجامع، وكان سعد بن أبي وقاص قد بنى له بالكوفة قصراً وقال: أقطع عني الناس فأرسل إليه عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة وأمره بأن يحرقه فاشترى من نبطي حزمة حطب وشرط عليه حملها إلى قصره، فحرقه، فإن عمر كره للوالي الاحتجاب عن رعيته.

---

(١) انظر حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري ١/١١٤ باب القسمة.

(٢) انظر حديث أنس في صحيح البخاري ١/١١٥ باب من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب فيه.

(٣) انظر المسجد في الإسلام ص ٥ ـ ٦.

ولم تبن قصور الأمراء إلا في خلافة معاوية رضي الله عنه، واحتجب لما خاف أن يغتال كما اغتيل الإمام علي واتخذ المقاصير في المساجد ليصلي فيها ذو السلطان وحاشيته[١].

ومن الصق وظائف المسجد ورسالته التدريس فيه هكذا كانت المساجد منذ عهد رسول الله ﷺ يوضح ذلك العبدري فيقول أفضل مواضع التدريس هو المسجد لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تحيا به سنة وأن تخمد به بدعة أو يتعلم حكم من أحكام الله تعالى، والمسجد يحصل فيه هذا الفرض متوافراً لأنه وضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فإنه محجوز على الناس إلا من أبيح له والبيوت تحترم وتهاب حتى ولو أبيحت للجميع[٢]. ولقد استفاض أمر تعليم الرسول ﷺ لصحابته في مسجده وكذلك استفاض أمر تعليم الصحابة للأمة في المساجد أين وجدوا وفي أي مكان كانوا.

ولقد ظلت وظيفة المسجد هي العبادة والتعليم والمدارسة ومقر القيادة والرياسة طول مدة رسول الله ﷺ في المدينة المنورة وحتى لحق بالرفيق الأعلى وكذلك استمرت في خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم واتسع جانب التعليم في المسجد بعد الخلفاء الراشدين ولم يقتصر به على ما كان عليه في عهد الرسول ﷺ وخلفائه وإنما اتسعت دائرة العلوم التي تدرس في المسجد حتى شملت كل المعارف الإنسانية يقول السيوطي رحمه الله إن دروساً مختلفة رتبت في الجامع الطولوني وقد شملت التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب والميقات[٣]. وأخيراً يقول

---

(١) فتاوي ابن تيمية ٣٥/٣٩ ـ ٤٠.

(٢) المدخل للعبدري ١/٨٥ عن المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي.

(٣) حسن المحاضرة للسيوطي ٢/١٣٨.

أن المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين وكل ما كان من الأعمال التي تجمع منفعة الدين وأهله [1].

وهكذا كان المسجد هو المحضن الأول لكل نهضة وإصلاح في إطار الأمة الإسلامية التي أشرقت على الدنيا من خلال المسجد شمس هداية ونور ومعرفة ورائد حضارة منذ أربعة عشر قرناً. وهي مؤهلة اليوم وفي كل يوم إذا ما عرفت كيف تعيد إلى هذا المنطلق قوته وتأثيره في البعث والتجديد والعبادة الصحيحة للبشرية قاطبة بعد أن أوردتها الحضارة الغربية موارد الدمار والهلاك والضياع.

وإن نظرة واحدة واعية دقيقة إلى مراحل الدعوة الإسلامية تأريخياً يتبين بما لا يقبل الشك والجدل أهمية دور المسجد ورسالته العظمى في بناء الأمة بناءً قوياً سليماً مضطلعاً عن جدارة واستحقاق بأعباء المسيرة وإيصالها إلى الهدف المنشود وهو سعادة الدارين [2].

(١) عمدة القاريء شرح صحيح البخاري للعيني ٢/٤٠٥.
(٢) رسالة المسجد محمد علي قطب ص ٣٩.

أثر المسجد في تربية الأجيال وتكوينها

إن المسجد في الإسلام من أهم الدعائم التي قام عليها تكوين الفرد المسلم، وبناء المجتمع المسلم في جميع العصور عبر التأريخ الطويل... ولا يزال المسجد من أقوى الأركان الأساسية في تكوين الفرد والجماعة وتكوين المجتمع المسلم الراقي في حاضر المسلمين وسيبقى كذلك في مستقبلهم إن شاء الله تعالى.

ذلك لأنه بغير المسجد لا يمكن للفرد أن يتربى روحيّاً، وإيمانياً، وخلقياً، واجتماعياً. وبغير المسجد لا يسمع الفرد صوت النداء العلوي «الله أكبر» يجلجل في سماء الدنيا فيهز المشاعر ويحرك أوتار القلوب.

وبغير المسجد لا ينصت المسلم إلى سماع الموعظة والحق - كما في خطبة الجمعة وغيرها - تتفاعل بها روحه ونفسه، وتتأجج بتأثيرها مشاعره وأحاسيسه.

وبغير المسجد لا يتعلم المسلم أحكام الدين، وتنظيم الدنيا، وأمور الحلال والحرام، ومناهج الحياة ودقائق الشرع، ويوم أن عزل التعليم من المسجد وجعلت له مؤسسات مستقلة حرم الكثير من المسلمين من هذا العلم المفروض.

وبغير المسجد لا يتلقن المسلم القرآن الكريم، ويعرف أسباب النزول، ويفهم لطائف التفسير وبغير المسجد لا يمكن للمسلم أن يتعاطف

مع أخيه المسلم وأن تتفاعل نفساهما على أسس المحبة والرحمة والتعاون والتكافل.

وبغير المسجد لا يجد المسلم لنفسه موئل عزاء إذا أصيب، وموطن طمأنينة وسلوى إذا جزع ويوضح هذه المعاني الشيخ النحلاوي فيقول: «عندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراده الله له يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين فيه. يرون الراشدين مجتمعين على الله فينموا في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة الإسلامية وفيه يسمعون الخطب والدروس العلميّة فيبدؤن بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة، وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة.

وفيه يتعلمون القرآن يرتلونه فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري بتعلم القراءة ودستور المجتمع الإسلامي والنمو الروحي وهوالارتباط بخالقهم.

وفيه يتعلمون الحديث والفقه وكل ما يحتاجون إليه من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله أن ينظمها للإنسان، ومن هداية الله وسنة رسوله. ومن العلوم المتممة لذلك كاللغة والتأريخ الإسلامي وغيرها... ولكن ما يدعو المسلمين إلى المسجد هو الالتقاء على طاعة الله. فشعار الاجتماع لأمر طارىء، أن ينادي مناد في أسواق المسلمين ومآذن مساجدهم «الصلاة جامعة» فإذا اجتمعوا كان أول عملهم أن ينظموا صفوفاً ويصلوا ركعتين، ثم يتداولون أمرهم هذا إذا اضطروا للاجتماع في وقت لا تحين فيه صلاة مفروضة. وفي الحالات غير الاضطرارية ينتظرون وقت الصلاة المفروضة فلا يبرمون أمراً إلا بعد اجتماعهم على صلاة.

فالمسجد على هذا يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل الذي هو إخلاص العبودية لله... وينغرس هذا المعنى في نفس الناشىء عفواً من غير قصد ولا تكلف»[١].

ولذلك فقد أخرج لنا المسجد أجيالاً غاية في الطهر والنقاء، وغاية في الحب والإخاء وكانوا في تقدمهم ورقيهم وحضارتهم مثالاً للقدوة، ومجالاً للتنافس في الأخذ منهم والاهتداء بهم فكانوا الحجة في كل ميدان من ميادين الحياة، فازدهرت بهم الحياة وسعدت بهم الأمم، وعم الخير العالم كله.

وبالعودة إلى تأريخنا الإسلامي وماضينا المجيد نجد ذلك مسطراً في صفحاته ومدوناً في كتبه فذكر لنا نماذج من أجيال المساجد الذين نشأوا في أحضانها، واغترفوا من علومها، وتزودوا بزاد الإيمان والتقوى من أنشطتها، فتخرجوا منها وهم حجة الله على الأمم ونبراسٌ للخلق ومنارات هدى.

فهم علماء بما تحتمله هذه الكلمة من عموم لعلوم الدين والدنيا.

واجتماعيون: استطاعوا أن يتعايشوا مع جميع البشر باختلاف أجناسهم، ولغاتهم وأقاليمهم وبيئاتهم المتباينة فوسعوهم بصدورهم واستوعبوهم بأخلاقهم، وكسبوا عطفهم وأخوتهم بعطفهم ورحمتهم، وحققوا معنى هذه الآية واقعاً ملموساً. . «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[٢].

---

(١) أصول التربية.

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.

وسياسيون: حكموا العالم قرابة ثلاثة عشر قرناً من المحيط إلى المحيط فكانوا خير ساسة عرفهم التأريخ، وأفضل أمراء بالنسبة لمن سواهم في القديم والحديث شهد بذلك الأعداء قبل الاتباع فنشروا الرحمة، والعدل، والأمن، والاستقرار وعرَّفوا العالمَ بهذه المعاني من خلال الممارسة والعمل لا من خلال الدعاية والأقوال.

وقادة مجاهدون: فتحوا الدنيا ولم يعرف العالم مثلهم فاتحا. فاقترن بفتحهم نشر الفضائل والقضاء على الرذائل، والتعريف بالحق وبيانه وتقبيح الباطل ودحضه وأدخل على الأمم والشعوب المفتوحة الرقي، والحضارة الحقة ذات المثل والقيم والمبادىء السمحة السهلة التي لا يزال العالم عالة عليها يستمد من أصولها علومه، ومن فروعها تقدمَه ونموَّه.

وعلى سبيل المثال نأخذ نماذج من هذه الأجيال التي تزودت بالإيمان في رحاب المسجد وتربت في أحضانه، وأخذت العلم في فِنائه. من هذه الأجيال وأفضلها جيل رسول الله ﷺ وهم صحابته الكرام الذين زكاهم القرآن الكريم في أكثر من آية واثنى عليهم بأفضل ثناء وأكرمه من ذلك قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾(١) وقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾(٢) الآية.

(١) سورة التوبة: آية ١٠٠.
(٢) سورة الفتح: آية ٣٩.

هذا الجيل تربى في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة عاصمة الإسلام وتلقى التربية على يد رسول الله ﷺ فتكون ذلك الجيل المثالي الحضاري وهو أمي لا يعرف شيئاً مما تعرفه الأمم من حوله ومع ذلك كان الكثير منهم يجمع بين العلم، والسياسة، والقيادة والاجتماع. واستطاع ذلك الجيل أن يخضع الأمم من حوله لسلطانه ويقضي على اعتى وأطغى دولتين كبيرتين في ذلك الزمن وهي: فارس والروم وأن يوحد الجزيرة العربية كلها تحت راية لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ﷺ وأن ينشر هذا الدين في جميع الأصقاع واستوعب في سياسته كل الشعوب المفتوحة بمختلف أجناسها، ولغاتها وبيئاتها المتباينة وأن يدخل عليها الأمن والاستقرار، ويمنحها الراحة والإطمئنان والرّضى بدين الإسلام والقبول لحكمه وسلطانه عن طواعية واختيار.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حوّل تلك الشعوب إلى أمم متبنية للإسلام، داعية إليه مدافعة عنه وعن سلطانه ولو أدى ذلك إلى بذل أغلى ما يملكه الإنسان من الأنفس والأموال.

وكان في هذا الجيل متخصصون في مختلف العلوم الدينية والدنيوية ولقد كان رسول الله ﷺ يذكر بعضهم بأسمائهم كقوله أقرؤكم أبي بن كعب، وأفرضكم زيد، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل. فيهم القراء والفقهاء، والمفسرون، والسياسون، والاجتماعيون، والاقتصاديون، والقادة المبرزون، وكانوا دعاة إلى الله عز وجل يُسَخِّرون كل ما منحهم الله إياه في سبيل هذه الدعوة لا يكلون ولا يملون ولا يدخرون وسعاً في نشرها ولا يضنون بشيء في سبيلها ولو كانت النفس وجميع الأموال وقد أثنى الله عليهم بقوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما

عـاهدوا الله عليـه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظـر ومـا بـدلـوا تبديلاً﴾[1].

هذا الجيل لم يعرف محضناً للتربية، ولا مكـاناً للتعليم إلاّ المسجـد فالمسجد هو الذي صاغهم بصبغة الله وهو الذي علمهم بتعليم الله وهو الذي دربهم على أمر الله وتنفيذه. فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

ثانياً: جيل التابعين ومن تبعهم في القرون الأولى المفضلة هذه الأجيال زكاها رسول الله ﷺ بقوله: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهـدون ويخونـون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن» وفي رواية «يحلفون ولا يستحلفون» متفق عليه.

هذه الأجيال من المسجد تلقت كل شيء فهي لا تعرف دار حضانة، ولا مدرسة تعليم ولا ثكنة تدريب ولا معهد تأهيل إلا المسجد فيه تربت ومنه تخرجت فكانت مفخرة الدهر وزينة الدنيا ورحمة للعالم كله أوصلت الإسلام إلى حدود الصـين، وأدغال إفـريقيا، وأوسـاط أوروبا، وجبـال الهملايا، وأقامت حضارة عالمية لا يزال العالم يستمد من أصولها ويستنير بفروعها في كل مجالات الحياة وعلومها ومن أبرز المساجد التي صاغت هذه الأجيال وأحسنت تربيتها مسجد المدينة المنـورة مسجد رسـول الله ﷺ، وجامع دمشق، وجامع بغداد، وجامع مصر، وجامـع قرطبـة، وجامـع القيروان، وغيرهـا من جوامـع العواصم الإسـلامية التي خـرجت هذه الأجيال العالمية والتي انجبت العلماء المتخصصين في مختلف علوم الـدين والدنيا والتي يحتاجها العالم في ذلك الحين. فتخرج منها:

(1) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

القـراء: من أمثال: يحيى بن الحـارث الذمـاري، وحمزة بن حبيب الزيات، وأبو عبدالرحمن المغربي، وخلف بن هشام البزار وغيرهم.

والمحدثون: من أمثال: مالك بن أنس، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسـائي، وابن مـاجـه، وعبـدالـرزاق الصنعـاني وغيرهم.

والمفسرون: من أمثال: الفراء، وابن جريـج، والسدي، ومقـاتل، ومحمد بن إسحاق، وابن جرير الطبري.

والفقهاء: من أمثال: الأوزاعي، والثوري، وابن عيينة، وزيـد بن علي، وأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

واللغويون: من أمثال: أبو عمرو بن العلاء، وخليل بن أحمد، وابن المقفـع، وسيبويه، والأصمعي، وأبو عبيدة والمبـرد والكسـائي والفـراء، والمفضل وغيرهم.

والأطباء: من أمثال الرازي، وابن رضوان، وأبو هاشم الزهراوي، وابن سيناء وابن الخطمية ومن النساء: أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجاني، وأخت الحفيد ابن زهر وابنتها. وقد حقق هؤلاء صناعة الطب ومرنوا عليها.

والمهندسون: من أمثال الحجاج بن أرطاه الذي خطط الجامع ببغداد في عهد المنصور.

والرياضيون والمبدعون: من أمثال: عمران بن الوضاح، وشهاب بن كثير.

والكيماويون: من أمثال: جابر بن حيان الذي اشتهر بالكيمياء وألف الكتب الكثيرة في الكيمياء والمعادن والأحجار.

والسياسيون: من أمثال: عبدالملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز، وأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد وغيرهم.

والمؤرخون: من أمثال: ابن إسحاق، وابن هشام، والبلاذري، وابن سعد وغيرهم.

والجغرافيون: من أمثال: ابن خردويه الجغرافي العباسي الأفضل الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري والذي ألف كتاب المسالك والممالك.

والقياديون: من أمثال محمد بن القاسم، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد وغيرهم من قادة الفتح في إفريقيا وأوروبا وبلاد السند وبلاد ما وراء النهر.

وهكذا استمر المسلمون في هذه الأجيال تصيغهم المساجد، ويعلمهم علماؤها، ويرعاهم خلفاؤها.

ولقد اهتم الخلفاء بالمساجد اهتماماً كبيراً وزودوها بما تحتاج إليه من أجل القيام برسالتها وشجعوا المتعلقين بها والمترددين إليها بالعطاء والهبات والاحترام فتوسعت العلوم، وكثر الدارسون ونال الرخاء المعمورة، وشاع الخير في الجميع.

ولقد تنافس الخلفاء والسلاطين، والأمراء في تشجيع العلم وأهله وفي الاهتمام بالمساجد والعناية بها على مدار التأريخ بناءاً وتوسيعاً، وإدارة. وكان كل خليفة أو سلطان أو أمير يريد لسلطانه أن يتوطد، ولحكمه أن يقوى، ويرمي إلى إقامة مجتمع قوي متماسك متعاون على الخير ومتنافس فيه فأول ما يتجه إليه الاهتمام بالمسجد ومن يضمه المسجد من المؤمنين

وكان الكثير يفعل ذلك اقتداء برسول الله ﷺ فتجد الوالي يتأنق في البناء، ويتوسع في المرافق من أروقه، وأربطة، وزوايا ومباني سكنية أخرى ويستجلب لها العلماء ويشجع طلاب العلم ويهيِّىء لهم كل وسائل التحصيل العلمي والتربوي وقد شهدت عواصم الإسلام ذلك التنافس في كل من دمشق الشام، وبغداد العراق، وفاس المغرب، وقرطبة الأندلس، وزبيد اليمن، ومصر الأزهر في أيام الخلفاء والدول والسلاطين والأمراء كأمثال الأمويين، والعباسيين والفاطميين وبني أيوب والمماليك، في مصر والموحدين والمرابطين في بلاد المغرب والأندلس وبني رسول في اليمن، وكان لا يأفل نجم تلك الخلافة أو ذلك السلطان أو تلك الأمارة إلا عندما يقل الاهتمام بهذا الأمر وينصرف إلى البذخ، والترف وبناء القصور والاهتمام بها واستبدالها ببناء المساجد والعناية بها.

وكانت القرون الثلاثة الأولى أجيالها لا تعرف إلا المساجد للتعليم ولما توسعت الفتوحات الإسلامية ودخلت الأمم بمختلف حضاراتها في الإسلام واتسعت تكاليف الخلافة الإسلامية فقد اتجه الخلفاء بعد ذلك إلى بناء المدارس والمعاهد المرتبطة بالمساجد روحاً وتوجيهاً لكي تستوعب المقبلين على العلم ـ وهم كثر ـ وتشجيعاً للعلوم المتنوعة وخاصة العملية والتجريبية مثل الطب والهندسة والصناعة وعلوم الكيمياء والفيزياء وغيرها.

وكانت روح المسجد مهيمنة على تلك المدارس والمعاهد حيث كان الكثير ملتصقاً بها أو قريباً منها حيث الدارسون يسمعون نداءها ويستمعون إلى الخطب والمواعظ فيها بل إن علماء تلك المدارس والمعاهد هم الذين كانوا يلقون دروساً أخرى في العلوم الشرعية واللغة العربية في المساجد يحضرها أولئك الدارسون ولذلك كانت تلك الأجيال مزودة بقوة

الإيمان وخلق التقوى فتركت لمن بعدها من أجيال المسلمين ثروة لا حدود لها في مختلف العلوم النقلية والعقلية والتجريبية ونال خيرها العالم. وكان ممن نالها ذلك الخير أوروبا فاستيقظت من غفلتها وقامت من غفوتها، وحركت جمودها فكان من أثار ذلك ما نرى ونشاهد.

أما الأجيال المسلمة المتأخرة فلم تسلك ما سلك عليه سلفها ولم تحافظ على ما حافظ عليه أولها وإنما انطبق عليها قول ربها: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ [مريم: آية ٥٩].

انصرفوا إلى الدنيا حين أقبلت عليهم، وأخلدوا إلى الترف والشهوات، وأصابهم الوهن، فكسلوا وخملوا وجمدوا ثم ناموا. وأخيراً هجم عليهم عدوهم فحول حالهم رأساً على عقب، سقطت خلافتهم، وأغلقت مدارس التقوى فيهم وحدَّت من رسالة مساجدهم، وتمزقوا شر ممزق فصاروا دويلات بعد أن كانوا دولة واحدة ملء الدنيا سمعاً وبصراً، وتحولوا أمماً بعد أن كانوا أمة واحدة لا تفرقهم الجنسيات واللغات والأقاليم وإنما تربط عراهم العقيدة وتوحدهم العبادة كما قال تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1] وصاروا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون. فصعب الالتقاء الفكري، وبعد الاتحاد السياسي وأصبحت الأمة الإسلامية ـ رغم كثرتها، ووفرة ثروتها وغناءها في الطاقة ـ لا شيء تداعى عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

إلا أنه ولله الحمد الخير لا يزال باقياً في هذه الأمة، ولن يرفع إلا بقيام الساعة، وجيل المساجد لا يزال يوجد له نبضاً، ويسمع له أنيناً، وتظهر له

(١) سورة الأنبياء: آية ٩٢.

حركة، وما الصحوة الإسلامية إلّا دليل على ذلك، ولا بد لليل المظلم أن ينجلي وللنهار من بزوغ شمسه، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

المؤامرات المحاكة ضد المسجد وفي أي شيء تمثلت.

أدرك أعداء الإسلام دور المسجد وأثره في حياة الأمة المسلمة من أول يوم أقامه الرسول ﷺ في المجتمع الأول وهو لا يزال في بداية تأسيسه وإرساء قواعده وأركانه، فأعلنوا الحرب عليه من أول وهلة كما أعلنوه على الإسلام نفسه.

حاربوه في رسالته العلمية والتربوية، وحاربوه في بنائه الشامخ رمز الشريعة الإسلامية والتوحيد وحاربوه في خطبائه وأئمته بمختلف وسائل الحرب وأساليبه الفكرية والمادية والمعنوية. تجمعت كل قوى الكفر الظاهرة والباطنة على هذه الحرب في فترات متتالية وحلقات متسلسلة يسلم بعضها لبعض ولما تنتهي بعد وستستمر ما دام الصراع بين الحق والباطل قائماً وهو لا ينتهي إلا بقيام الساعة. هذه الحرب انطوت على مؤامرات خطيرة وكيد رهيب ومكر تتزلزل الجبال منه كما وصفه الله بقوله: ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ وكان لقوى الكفر الباطنة المتمثلة في المنافقين ـ عملاء الكافرين ـ المرتبطين ولاءً ونصرة بالكافرين الأثر البالغ والأنكى في عمق التنفيذ وخطر النتيجة فكل أمر لا تستطيع تنفيذه قوى الكفر الظاهرة في الأمة المسلمة تسنده إلى تلك القوى الباطنة فتقوم بالدور بأفضل ما يتوقعونه ويريدون أن يحدثوه وفي مقدمة هؤلاء الذين استغلوا قوى الكفر الباطنة اليهود الذين دفعوا من أنفسهم أناساً يعلنون إسلامهم مع بقائهم على يهوديتهم باطناً أو ربطوا أحلافاً

وصداقات مع غيرهم ممن كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون البقاء على الكفر ـ وكانوا منافقين بهذا الوصف ـ فنفذوا من خلال هؤلاء وأولئك أغراضاً كثيرة في الإسلام والمسلمين ما كانوا ليصلوا إليها لولا هؤلاء.

إلا أنهم ولله الحمد لم يصلوا في مكرهم وكيدهم إلى جوهر الإسلام وأصوله ومبادئه ومصادره لأن ذلك مما حفظه الله وتولى رعايته في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. وإن كان هدفهم الأكبر ذلك كما استطاعوا أن يبلغوه في غير ديانة الإسلام. وفي هذه الرسالة سنعرض نماذج من مؤامرات وحرب تلك القوى من يهودية ونصرانية، وملحدين، ومنافقين: استهدفت المسجد خاصة لما يتيقنه هؤلاء من أثر بالغ للمسجد في بناء حياة الأمة المسلمة وتماسك مجتمعها والمحافظة على دينها. لذلك كانت الحرب من قبل هؤلاء شرسة مستهدفة بالذات تربية المسجد وعلمه، وخطبائه وأئمته وبنّائه ووجوده على هذه الأرض بهذا البناء وذاك الشكل. وقبل أن أبدأ الحديث عن مؤامرات وحرب أعداء الإسلام للمسجد ورسالته ووجوده أحب أن أنوه أن المسلمين في كثير من فترات الزمن وفي بعض العصور قد أسهموا كثيراً من حيث لا يشعرون، أو يشعرون ولغرض ما في إقصاء المسجد عن أداء رسالته، والقيام بدوره المتكامل كما كان عليه في سلف الأمة وصالحها وذلك لأسباب أهمها:

١ ـ ضعف المسلمين في تمسكهم بدينهم.

٢ ـ جهل كثير من المسلمين بالإسلام.

٣ ـ انخداع بعض المسلمين بالحضارات التي اتصلوا بها.

٤ ـ سيطرة بعض الحكام على خطباء المساجد وأئمتها.

هذه الأسباب كانت منافذ لشياطين الإنس والجن في أن ينحرفوا بهذه الأمة عن الهدى وأن ينالوا من منطلق الهدى ومركزه المسجد.

فمن ضعف التمسك بالدين:

نتج التجاوب للشهوات والتجاوب مع الهوى وزينة الدنيا وبهارجها والانسياق مع حب الجاه والسلطان، ففقد التوازن والقوام ولم يعد للمسجد بعد ذلك أثر في أن يوجد التوازن في الأمة والقوام في المجتمع من خلال المواعظ والتذكير والنصيحة، والأمر والنهي. وانشغل الناس بالتجاوب مع تلك الحظوظ فازدادوا ضعفاً في الدين وهواناً في الدنيا وأجهز العدو المتربص على ما بقي من روح للمؤمن ومؤسسه الإيمان.

ومن الجهل بالإسلام:

نتج عنه أن تقبلت بعض الأمة المسلمة الخرافات التي أمليت عليها من قبل أعدائها بمكر ودهاء، وبعض الأفكار الهدامة التي انتحلت التشويه للإسلام وحنيفيته. وأوجدت في الأمة إنفصاماً وفي بيضتها[1] انقساماً واندس في صفوفها من ليس منها حقيقة ليهدم الإسلام من داخله ويعطل دور مؤسسته (المسجد) من واقع الوصاية والتأثير.

وبالفعل فقد انحرفوا بالمسجد عن وظيفته بسبب الجهل في كثير من جوانبه اتخذوه قبراً وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك. فملؤا جوانبه بالخرافات والبدع وما القباب والأعياد والزيارات الموسمية إلاّ أمثلة على ذلك ودليل.

---

(١) بيضة القوم حوزتهم وحماهم.

وسموه باسم بناته فدخلوا بذلك في نوع من العجب والرياء والشرك الأصغر والعياذ بالله، والله يقول ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ وقصروا المسجد على أن يستقبل المصلين في أوقات الصلاة فحسب فحسروا ظل المسجد عن أن تفيء إليه جموع المسلمين تتفيأ هذه الظلال وتتربى في هذه الرحاب وتأخذ من المسجد علماً وخلقاً وسلوكاً تندفع به تبشر بدين الله وتجاهد في سبيله كما كان على ذلك سلف الأمة.

ثم شوهوا خطبة المسجد وخطيبه فأصبحت الخطبة كلاماً بارداً لا تثير عاطفة ولا تحرك قلباً نحو الخير ولا تدعو عقلاً إلى فكر وتأمل وتدبر فضلاً عن أن تدفع المسلمين نحو الحق ونحو الواجب ونحو التضحية والفداء. وهكذا أصبح المسجد بين هذه الأطراف من جهل المسلمين بإسلامهم لا يستطيع أن يؤدي رسالته إلا كما يؤدي العاجز عملاً يحتاج منه إلى الحركة والنشاط فغدا المسجد وقد انحسر أثره في نفوس الناس وعقولهم وأضحى نوره وهداه كضوء من شعاع يتسرب إلى المضيئين به من خلال ثقب دقيق عليه من الغبار ما يوشك أن يسده كاملاً[1].

وأما انخداع بعض المسلمين بالحضارات التي اتصلوا بها:

فقد تمثل ذلك في الانسياق والتبعيّة لحضارة الغرب القائمة على العلمانية التي لا تعترف بدين، ولا تلتزم بخلق، وإنما مصدر استمدادها المادّة.. بعيدة عن الروح والتوجيه والأخلاق.. ولقد كان سلفنا الصالح الذي فتح العالم.. يأخذ من حضارات البلدان المفتوحة ما يتفق ومبادىء دينه.

---

(١) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي ص ١٠٦.

وكانت الأمم تأخذ منهم الدين مرتبطاً بحضارة مصوغة بتعاليم الإسلام وتوجيهه فكانت لهم هداية ورحمة وسلاماً وحولتهم من أمم تابعه إلى أمم متبوعة إلاّ إن الخلف تساهل فيما كان عليه سلفه من التمييز والانتقاء والأخذ بما هو موافق ورفض ما هو مخالف فسرعان ما انساقوا مع حضارات بعض الأمم ما لا يتفق مع الإسلام من مجالس اللهو والغناء، والشهوات والقيان وسرعان ما قلّدوهم في الانكباب على الملذات والشهوات. وسرعان ما قلدوهم في ظلم الرعية وتعالي الحكام على المحكومين، واتخاذهم الحجاب دون الناس ودون أصحاب الحاجات، وقلدوهم كذلك في توارث الحكم ثم في الاحتكام إلى غير ما أنزل الله على رسوله من كتاب ما فرط الله فيه من شيء ولا ترك من خير إلا ودعا إليه ولا ترك من شر إلا ونهى عنه. . ومن ذلك الوقت انحلت عقدة الدين في النفوس وضاع المنهج الإسلامي عن الحياة، وبانحلال عقدة الدين وضياع المنهج الإسلامي لم يعد للمسجد أثره في الناس ولا عادت له المكانة التي كان يتمتع بها بين المسلمين وعطل كثير من وظائفه فانحرف بكل هذا عن هدف جليل له هو تربية المسلمين وإعدادهم للحياة التي يسودها منهج الإسلام.

غابت عنهم روح المسجد فغابوا هم عن الوجود الحقيقي الجدير بهم فأصبحوا اتباعاً لغيرهم وهم السادة بدينهم ومقلدين لسواهم وهم أصحاب أغنى حضارة. .

واهتبل العدوّ هذه الفرصة فرصة الضعف والغفلة والتقليد والتبعية والإخلاد إلى الأرض من قبل المسلمين فشمر عن ساعد الجد في بناء حياته المادية عن طريق تقدمه العلمي المادي المعاصر الذي مكنه من احتلال العالم الإسلامي واستعماره واستغلال ثرواته واستذلال أهله. اهتبل العدوّ ذلك

فسعى لإيجاد الحيلولة بين المسلمين وإسلامهم، وإحلال تراثه المحرف محل التراث الإسلامي وشن الحرب المسعورة على الإسلام في كل ميدان وكان في مقدمة ذلك الحرب على المسجد وإيقاف حركة التوجيه والإرشاد فيه، لما يعلمون من دور المسجد في توجيه المسلمين وتجميعهم على هدف واحد ورب واحد ودين واحد، ولم ينس هؤلاء الأعداء أن المسجد هو الذي كانت منه تخرج الجيوش وفيه يتربى القادة، ومنه تساس الأمم.

لذلك كان للمسجد من حربهم وتخطيطهم نصيب كبير. حاربوه بمؤسساتهم المختلفة من نوادي وملاعب ومقاهي، وملاجىء ومدارس، واستطاعوا بهذه المؤسسات أن يجتذبوا إليها كثيراً من السذج الغافلين من المسلمين، فدسوا لهم السُّم في هذه المؤسسات وشابوه بهذه الخدمات التي يقدمونها للفقراء وأهل الحاجة، وهذه المؤسسات في حقيقتها مؤسسات تبشيرية تحبب الناس في المسيحية وتبغضهم في الإسلام وتحول بينهم وبين المسجد بكل وسيلة ممكنة من وسائل الصرف عنه والوقوف دون أن يؤدي المسجد وظيفته[1].

وأما سيطرة الحكام على الخطباء والأئمة:

فقد تمثلت في أمور أهمها:

١ - ربط الخطباء بمرتبات حكومية ليتم للحكام اختيار من ينسجمون معهم من ضعاف الشخصية، وقليلي العلم، ومن الذين فقدوا صفة الجرأة لقولة الحق والصدع بها من غير خوف لوم اللائمين، من الذين أحبوا لأنفسهم السلامة، وركنوا إلى الدعة والخمول، وأحبوا أن يجاملوا السلطان بالتودد إليه ولو على حساب الدين.

(١) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي ص ٨٨.

أو اختيار السذج الذين لم يكلفوا أنفسهم عناءً وجهداً للتعرف على واقع الأمة والتحسس لمشاكلها وعرض الحلول اللازمة لها، وخبر أمراض الأمة وأدوائها وعرض الدواء النافع لتلك الأمراض، وكشف الزيف على الدين وفضح المؤمرات على المسلمين وتوجيه الأمة والمجتمع لطرق المواجهة والصد عن الدين حتى لا يكون لهم تأثير في الأمة والانبساط بالمجتمع فيسهل عليهم توجيههم فيما يريدون وإسكاتهم متى يشاؤون.

٢ ـ كبت حرية الخطباء ومضايقتهم في الجهر بالحق ودعوة الناس إليه، وتعرضهم للرقابة حيناً، والتحديد لما يقولون حيناً آخر وللحرب النفسية والتهديد في كثير من الأحيان. فلا حرية لفكرة ولا حصانة له في مجتمعه، ولا أمان له من السلطان.

٣ ـ الاهمال التام للخطباء والأئمة: فلا اعداد ولا تأهيل ولا عناية ولا تدريب ولا اهتمام بشؤونهم المادية والاجتماعية ولا احترام. بل عزلوا عن المجتمع، وحصروا فيما هم فيه وازدُري بهم، واستهزىء بأسمائهم، وتُندر بأشكالهم فأصبحوا وكأنهم غرباء في المجتمع ولا نصيب لهم في الحياة. بينما كان الخطباء والأئمة فيما مضى هم قادة الأمة وسادة الأمم وموجهوها.

بهذه الأمور تم للسلطان السيطرة، وللحاكم الهيمنة، فعزل المسجد عن حياة الأمة وعزل خطباؤه عن توجيه الحياة. وما عاد للمسجد أن يؤدي دوره في التوجيه والتربية وأخرجت منه كثير من مرافق الحياة الهامة والتي كان له عليها السلطان. ففقدت تلك المرافق روحه وإيمانه وتحولت إلى مَادية بحتة علمانية واضحة فشقى بها المجتمع وهلكت بها الأمة. فلا حول ولا قوة إلّا بالله.

وبعـد:

فهذه مجمل للأسباب النابعة من داخل الأمة المسلمة خلال فترات من الزمن أدّت إلى انحراف المسجد عن غايته ورسالته وإلى قصوره عن أداء وظيفته في التربية والتوجيه وإسماع كلمة الحق في كل حين وقد استغل أعداء الإسلام من قوى الكفر الظاهرة والباطنة (هـذا) لتنفيذ مخططاتهم لحرب الإسلام ومؤسسته الأولى ـ المسجد ـ وهذا عرض لبعض مكر الأعداء وكيدهم وضربهم للمسجد ورسالته فنقول مستعينين بالله ومنه نستمد التوفيق:

أولاً : اليهود والصهاينة

لقد تآمر اليهود على المسجد من أول يوم أقيم فيه المسجد في عاصمة الإسلام - المدينة - كما تآمروا على الإسلام نفسه، من أول يوم سطعت شمسه على هذا الوجود. .

فقد كان اليهود يتآمرون على المسلمين وفي المسجد بالذات يتجسّسون عليهن ويسخرون منهم ويستهزئون بهم حتى أمر الرسول ﷺ بطردهم من المسجد.

قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار اليهود من بني قينقاع: سعد بن حنيف وزيد بن اللعين ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى ورافع بن حريملة، ورفاعة بن زيد، قال ابن إسحاق: «وكان هؤلاء المنافقون يحضرون بالمسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يوماً حولهم في المسجد أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً»(١).

فقام لكل واحد منهم واحدٌ من المسلمين فأخرجوهم من المسجد. واستمر اليهود في حربهم المستور للمسجد لضعفهم وجبنهم، ضمن حربهم

(١) سيرة ابن هشام السيرة النبوية: ١/٥٢٩ دار الحلبي.

للإسلام والمسلمين مما أشاعوه في المسلمين من إشاعات هدامة وترهات وأباطيل صرفت بعض المسلمين عن الوظيفة الحقيقية للمسجد عبر عصور التاريخ الإسلامي. ومما أثبته التاريخ أن اليهود في حربهم للإسلام وللمسجد الغير معلنه. . ابتكارهم مذاهب هدامة وأفكار ضالة عزتها للإسلام وهو منها بريء حملها أقوام منهم يتسترون بالإسلام واتخذوا منه التُقية. مثل فرق الباطنية التي أثبت لنا التاريخ أن كل مؤسّسيها يهودٌ من إسماعيلية وقرامطة ونصيريين وغيرهم من بابيه وبهائيه وقاديانيه. وكانت هذه الفرق على مدار التاريخ متى تغلبت على المسلمين فلا يرعون حقاً لدين، ولا ذمة لمسلمين، ولا خدمة لمساجد المؤمنين، وتكشفوا عن صلفهم اليهودي، وحقدهم التلمودي، وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل.

من ذلك ما ذكره البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق عن القرامطة. . إنهم عندما استولوا على الإحساء والقطيف والبحرين. . قتلوا الكثير من المسلمين ونهبوا وسلبوا واستباحوا الحرم وأحرقوا المصاحف والمساجد. . وعندما دخلوا مكة عملوا فيها مجازر وحشية وخيمة. وفي صحن المسجد الحرام قتلوا بها عشرات الألوف من حجاج بيت الله الحرام. وأغاروا على أستار الكعبة وأخذوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه إلى البحرين ولم يخرجه منهم إلاّ الخليفة الفاطمي لما أخرجه المسملون لأنه كان ينتمي إلى الإسماعيلية. .

ويذكر أنهم ما دخلوا بلداً إلا وأول عمل يقومون به بعد القتل والنهب تهديم المساجد وإحراقها وانتهاك حرمتها كما حصل في الشام(١) وكذلك في اليمن. تلك صورة من صور حرب اليهود للمساجد ورسالتها أيام قوة

(١) انظر كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨١ - ٢٩٣ وانظر مكائد اليهودية عبر التاريخ لحبنكة ص ١٨٩ - ١٩٧ - ٢٠٥.

الإسلام وسلطانه حيث تستروا بمذاهب ودعوات انتحلوها ونسبوها إلى الإسلام والإسلام من ذلك كله براء ومن خلالها أحدثوا في المسلمين ومساجدهم ما لا يتصوره عقل لولا أنه حدث وحصل.

أما الصورة الحديثة لحرب اليهود الصهاينة للمسجد وقد أصبحت لهم شوكة وأصبحوا ذوي سلطان يملكون من القوة والعتاد والإمكانيات الشيء الكثير وتمكنوا بدهائهم ومكرهم أن سيطروا على عقول الدول الكبرى وتسخيرها في تحقيق مآربهم كيف يشاؤون رغم ما بينهم من عداء واختلاف، وقد أوجدوا التنسيق والتعاون التام على ضرب الإسلام والمسلمين فقد جاءت الحرب من قبلهم ضارية وغير مباشرة تارة ومباشرة عندما تحين الفرصة وتتهيأ . . . تارة أخرى.

أما ضراوتها:

فقد اتضحت من الهدف الكبير الذي استهدفته وهو اجتثاث الإسلام من نفوس ابنائه بما يشوشون عليهم من تاريخه وتراثه، وبما يحرفون به الكلم عن مواضعه.

وأما أنها غير مباشرة:

فلأنها لبست ثياباً تتستر بها وتختفي خلفها كالماسونية ونوادي الروتاري، وجمعيات العراة، والوجودية، والفوضويين، وكل زي من أزياء الفساد والانحلال.

وقد كان من أخطر مخططاتهم في حرب المسجد أن يصرفوا الناس عن المسجد بالملاهي والمسارح والسينمات، ودور اللهو، وأماكن قتل الوقت

والحياة كالنوادي وألعاب الكرة ونحوها، وتلك الأماكن التي نتحدث عنها كانت أخطر الأسلحة المستعملة ضد المسجد، فقد استطاعت فعلاً أن تجذب الناس إليها فتعيقهم عن المسجد وتباعد بينهم وبين روح المسجد في حياتهم كلها.

هكذا حارب اليهود الصهاينة المسجد في عصرنا الحديث في كل بلاد الإسلام بأنفسهم وباغراء القادرين على شن الحرب علينا من المستعمرين النصارى من انجليز وفرنسيين، وهولنديين وغيرهم الذين استعمروا البلاد الإسلامية وانتهكوا حرماتها طيلة قرن ونصف من الزمان.

أما الحرب المباشرة:

فإنها تمثلت حين قام سلطانهم في فلسطين المسلمة عندما عاونهم على اغتصابها أعداء الإسلام مجتمعين. فالحرب للمسجد كان أكثر بشاعة وللمسجد الأقصى خاصة فإن صنيعهم فيه أكثر مما صنعوه بجامع قرطبة وسائر مساجد الأندلس الإسلامية ومن أبرز الأدلة على ذلك محاولات إسرائيل اليهودية لهدم المسجد الأقصى لتبني على انقاضه هيكل سليمان الذي يرمز عندهم إلى القوة والنفوذ وقد استخدمت محاولات كثيرة لجس النبض الإسلامي من جانب وترويض الأمة المسلمة على ذلك من جانب آخر حتى إذا وافتها الفرصة فعلت ذلك ولم تجد أيّة مقاومة قوية جديرة بالاهتمام من تلك المحاولات:

١ ـ لم تسمح بدخول أحد إلى المسجد الأقصى إلاّ بإذن مسبق من الحاكم العسكري اليهودي بالقدس المحتل.

٢ ـ سمحت للراقصات العاهرات بدخوله وتدنيسه.

٣ ـ أخذت في إزالة المعالم الإسلامية المحيطة به بحجة التخطيط والعمران.

٤ ـ في ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩ م، ارتفعت ألسنة اللهب فوق المسجد الأقصى فالتهمت جدرانه وأتت على جانبه الجنوبي الشرقي وكان الحريق بيد يهودي أُدعي أنه غير عاقل. علماً بأن الحريق كان في اليوم الذي يعرفه كل يهودي وهو يوم احتفالهم الحزين بتدمير هيكل سليمان.

٥ ـ إجراء حفريات واسعة تحت المسجد الأقصى بلغت عمق بعضها أربعين قدماً وأصبحت جدرانه تقف على أرض مفرغة بحيث يسهل تقويضه عند اهتزاز القشرة الأرضية من تحته في أي وقت وقد قامت إسرائيل بتسريب الأنباء والصور عن الحفريات تحت المسجد الأقصى لجسّ نبض المسلمين ومعرفة رد الفعل لديهم حتى تُحدِّد الوقتَ المناسب لإتمام جريمتها.

٦ ـ أنشأت صندوق إعادة بناء هيكل سليمان لإقامته فوق أنقاض المسجد الأقصى وقد تم بالفعل الانتهاء من تحضير كافة مواد بنائه كما أن حجر الزاوية قد وصل إلى مدينة القدس. والأحداث المتجددة والتي نسمعها كل يوم من فلسطين ولبنان خير شاهد على ذلك. فلقد حوّلت كثيراً من المساجد إلى حوانيت ومنعت المصلين من الدخول فيها وانتهكت حرمة المسجد الأقصى مرة أخرى بإدخال رجال الكنيست فيه وقراءة تراتيلهم التلمودية فيه وأنزلت بالمصلين ألواناً من الأذى والسخرية والقمع الشديد عندما أرادوا الدفاع عن كرامة مسجدهم ومكان عبادتهم.

ثانياً: النصارى

إن مؤامرات النصارى وحربهم للمسجد لا تقل خطورة وإنكاءاً عن مؤامرات اليهود في كثير من الأحيان بل كانت الحرب أفدح وأفظع وما ذاك إلّا أن النصارى المعاصرين من أبناء اليهود وتربيتهم وذلك من يوم أن دخل (بولس) اليهودي في المسيحية وحوّلها إلى نصرانية يهودية فإن حقد هؤلاء النصارى على المسلمين ومساجدهم مستمد من حقد اليهود وحسدهم، ولذلك فقد استغلت اليهودية المعاصرة الاستعمار الغربي النصراني وكذلك الاستعمار الشرقي على حدٍ سواء استغلالاً كبيراً في تحقيق مآربها في المسلمين والإسلام ومؤسسات الإسلام.

وحرب النصارى للمساجد تتركز على شيئين:

الأول: على رسالة المسجد ووظيفته في المجتمع الإسلامي.

الثاني: على ذاته وبنائه الشامخ الرامز إلى شعيرة الإسلام وشموخه. وتركزت الحرب لبنائه في تحويله إلى شيء آخر أو لنسفه وإبادته من الوجود.

فالأول: قام بتنفيذه عنصران:

عنصر النفاق والمنافقين من داخل الأمة المسلمة وفي المجتمع المسلم:

هؤلاء المنافقون الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر كان لهم ارتباط بهؤلاء النصارى حلفاً وولاءاً، أو ممن تلقى في مدارسهم العلم والتربية

ورجع وقد تشبع بما عندهم من كفر وحقد على الإسلام ومبادئه السمحة ومؤسساته الشامخة مغروراً بما حوى من قشور العلم منخدعاً بحضارتهم الجوفاء متأثراً بقولهم المعسول في الإسلام وأهله مشحوناً بالشبهات والعداء للإسلام والمسلمين.

وعنصر التبشير والاستشراق:

من المبشرين والمستشرقين النصارى الذين، أخذوا على أنفسهم أن لا يقرّ لهم قرار حتى يروا المسلم وقد ترك دينه وابتعد عن مأواه ـ المسجد ـ وقد أفصحوا بهذا الهدف حيث قال قائلهم: «إذ ليس المهم إدخال المسلم المسيحية ولكن المهم إخراج المسلم من المسجد» وأعداء الإسلام لا يمكن أن يتخذوا لهم غاية يبلغ حماسهم لها إلى حدّ أن تفلت أسرارها من ألسنتهم وهم لا يتخذون كل سبيل إلى تحقيقها. وهاتان صورتان توضح ذلك وتجليه:

الصورة الأولى:

سجلها القرآن الكريم بجلاء ووضوح وبينت السنة النبوية في سبب النزول مصدرها والجهة المنفذة لها وهم عملاء النصارى من المنافقين قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفنّ إن اردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً لمسجدٌ أُسّس على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطَّهرين، أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا

جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين. لا يزال بُنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطع قلوبهم والله عليمٌ حكيم﴾.

قال ابن كثير في التفسير: سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ ـ إليها رجل من الخزرج يقال له: أبو عامر الراهب ـ وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان له عبادة في الجاهلية ـ وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ ـ مهاجراً إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه ـ وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ. فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين. وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب في ذلك اليوم فجرح وجهه، وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى وشجّ رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبّوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شرّ: وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله ﷺ، أن يموت طريداً بعيداً فنالته هذه الدعوة وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على رسول الله ﷺ، فوعده

(١) الآيات من سورة التوبة: آية ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠.

ومنّاه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والرِّيب، يعدهم ويمنيهم أنه سوف يقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه، ويرده عما هو فيه وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج الرسول ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ، أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم فيحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «إنا على سفر لكن إذا رجعنا إن شاء الله» فلما قفل عليه السلام ـ راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل جبريل بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم ـ مسجد قباء ـ الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى مسجد الضرار من يهدمه قبل مقدمه المدينة، يقول سيد قطب رحمه الله: «فهذا هو مسجد الضرار الذي أمر رسول الله ﷺ أن لا يقوم فيه، وأن يقوم في المسجد الأول، مسجد قباء الذي أقيم على التقوى من أول يوم. والذي يضم رجالاً يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين، هذا المسجد مسجد الضرار الذي اتخذ على عهد رسول الله ﷺ مكيدة للإسلام والمسلمين، لا يراد به إلا الإضرار بالمسلمين وإلّا الكفر بالله، وإلّا سند المنافقين على الجماعة المسلمة، الكائدين لها في الظلام، وإلّا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين»[1].

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٧١٠.

نعم هذه المعاني التي شملها مسجد الضرار كما حددها بناته أنها أضداد لمعاني مسجد التقوى مسجد الإيمان الذي أعلن أعداء الإسلام الحرب عليه ومن هؤلاء الأعداء ـ النصارى ـ وعملاء النصارى من المنافقين. ولذا نجد أن هذه الصورة لا زالت تتجدد وتتكرر في كل زمان وعصر وإن كانت تختلف في العرض والأداء بحسب مقتضى ارتقاء الوسائل واختلاف الزمان إلا أن الهدف واحد والغاية واحدة وهو تدمير الإسلام وإبادة أهله كما قالوها صريحة مدوية يقول سيد قطب رحمه الله: (هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين. تتخذ في صورة نشاط ظاهرة للإسلام وباطنة لسحق الإسلام أو تشويهه وتمويهه وتمييعه وتتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتترس وراءها وهي ترمي هذا الدين. وتتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتحذر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب إلى أن الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق وتتخذ في صور شتى كثيرة..

ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشفها وإنزال اللافتات الخادعة عنها، وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه من ورائها ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار على عهد رسول الله ﷺ بذلك البيان القوي الصريح)[1].

الصورة الثانية:

كشفتها طبيعة الصراع في العصور المتأخرة بين الإسلام وأعداء

(١) المصدر السابق.

الإسلام من النصارى وعملائهم ممن تثقف بثقافتهم من أبناء الأمة المسلمة.

وإذا كانت تلك الصورة تحكي لنا مؤمرات النصارى وعملائهم على رسالة المسجد ووظيفته في المجتمع الإسلامي الأول. والإسلام آنذاك قوي بأهله وسلطانه فكانت المؤامرة مكشوفة، والمقاومة قوية أدى إلى سحقها في مهدها فإن الصورة الثانية تحكي لنا مؤمرات هؤلاء النصارى وعملائهم في العصور الحديثة والإسلام قد أصابه الضعف في كثير من شؤونه وفي مقدمتها السلطان. مما أدى بهؤلاء النصارى أن يطمعوا في المسلمين وفي إسلامهم فوجهوا الضربات المتتالية إلى كل عناصر القوة في هذه الأمة والتي سبق أن تحدثنا عنها في المقدمة ومن بينها المسجد: وكان هو الرمز الذي لا زال يمد المسلم في كل مكان وبلد وعاصمة بالقوة المعنوية أساس القوة المادية عند المسلم فوجه أعداء الإسلام الضربات إلى أهمها وأشهرها من ذلك جامع الأزهر، وجامع القرويين، وجامع الزيتونة.

ذلك أن الأزهر الشريف كان له أثر كبير، وعمل بارز في حفظ التراث العربي والإسلامي خصوصاً في وجه الحملات الصليبية، وغارات التتار، ومحاولات العدوان المتكررة على العالم الإسلامي فضلاً عن أنه قاوم الحملة الفرنسية والاستعمار البريطاني، وكان له مواقفه في الثورة العرابية، وثورة ١٩١٩م، كما قاوم الأمراء المستبدين من المماليك حتى قال عنه اللورد لويد في كتابه «مصر خلال حكم كرومر». إن أهمية الأزهر بوصفه مركزاً من مراكز الدعاية والمقاومة لبريطانيا كبيرة متعددة الإمكانيات، وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله لتأييدهم ولآدابهم. وترتب على ذلك نمو الروح المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم به.(١).

---

(١) أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص٣٤٤

لهذا الدور الخطير الذي كان يقوم به الجامع الأزهر وغيره من فئات المساجد المنتشرة في العالم الإسلامي كان للمسجد، النصيب الأوفر من التآمر والتخطيط في المؤتمرات النصرانية التي تجاوزت العشرات وكان يعقدها النصارى: من مبشرين ومستشرقين لحرب الإسلام ومؤسساته ومن هذه المؤتمرات والتي تعرضت بالذات لحرب جامع الأزهر مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ م برئاسة القس (زويمر) وكان له الأثر البالغ على كل مساجد المسلمين. في هذا المؤتمر قام أحد أعضاء المؤتمر وأفاض في وصف ما للجامع الأزهر القديم من النفوذ وإقبال الألوف عليه من الشبان المسلمين في كل أقطار العالم، وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلى الآن ثم قال: «إن السُّنين من المسلمين رسخ في أذهانهم أن تعليم اللغة العربية في الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه في غيره، والمتخرجون من الأزهر معروفون بسعة الإطلاع على علوم الدين وباب التعليم مفتوح في الأزهر لكل مشايخ الدنيا خصوصاً وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً لأن في استطاعته أن ينفق على ٢٥٠ مائتين وخمسين استاذاً ثم تساءل عما إذا كان الأزهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر وعرض اقتراحاً يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا على اختلاف مذاهبها للتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان اللغة العربية».

ثم قال إن في الإمكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة وهي أن تخصص أولاً بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية غير إسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدمة جليلة في تنصير المسلمين الآخرين.

وختم كلامه قائلاً: «ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية».

وشرع أعداء الإسلام في تنفيذ هذا المقترح على أساليب متنوعة.

الأسلوب الأول:

في إنشاء جامعة تناهض الأزهر، وعلمنة المدارس الحكومية، وفتح معاهد نصرانية ومدارس أجنبية تهيأت لها كل الإمكانيات وبذل لها كل التشجيعات المادية والمعنوية وسعى من خلالها إلى إيجاد عدد كبير لا يعرف إلا الثقافة الغربية، ولا يعترف إلاّ بالعلمانية، أو يدين بالنصرانية، أو الولاء للنصارى المستعمرين، ذلك العدد الكبير استنكر مقومات دينه ومثله وقيمه وكفى المستعمر جهوداً كبيرة، ونفذ له ما لا يستطيع على تنفيذه لولاهم ومن هؤلاء الذين برزوا على الساحة وأشْهَرَهم الاستعمار طه حسين الذي شنّ حملة على الأزهر الشريف، وحاربه بروح استعمارية غربية حارب رسالته، وحارب رجاله، وحارب نفوذه الروحي، والاجتماعي والسياسي في المجتمع المسلم مشجعاً المدارس العلمانية التي أنشأها الانجليز من أجل علمنة الجيل أو تنصيره لكي يسلم إليها زمام الأمور فيا بعد ليقينه أنه لا يستمر استعماره العسكري ولا بد أن يستمر استعماره الفكري والسياسي وقد تحقق له ما أراد.

الأسلوب الثاني:

تمثل في رسم سياسة تقضي إلى تجميد التعليم الإسلامي الشامل في

الجامع الأزهر وفي غيره من المساجد التي للإستعمار نفوذ عليها في الشعوب الإسلامية مع المحافظة على بقائه شكلاً لا جوهراً.

تجميده على النحو الذي يعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية والابقاء عليه لإيجاد الثنائية والتضارب والحيلولة دون قيام ثقافة وطنية أو قومية موحدة. وكما فعل النفوذ البريطاني في الأزهر فعلت فرنسا إزاء جامع القرويين في فاس: فقد أُثِرَ عن الحاكم الفرنسي: ليوطي (صنو كرومر) في مصر قوله: «إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب».

ولذلك فقد تسلّط النفوذ الاستعماري الفرنسي عليها حيث توجد بها الطاقة التي تكمن فيها قوة المغرب فأوحى إلى عملائه فمنعوا دراسة العلوم بها واكتفوا بالقشور وتحولت كلية القرويين إلى شيء لا فائدة له.

وقد حاولت الحكومة المغربية أثناء السيطرة الاستعمارية أن تحقق بعض الاصلاحات التعليمية فيه فكانت دائماً تجد معارضة شديدة من الاستعمار وهكذا عمد النفوذ الاستعماري ـ النصراني ـ إلى القضاء على نفوذ الأزهر في مصر والقرويين في فاس، والزيتونة في تونس فوضع خطة محكمة تستهدف إضعاف هذه المعاهد وتوهين مركزها، وإضاعة نفوذها، حيث وقف المستعمرون في طريق علمائه، وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة، ومناصب الحكم ووظائف الإدارة، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين، على أن يكون الإسلام على تعبيرهم بعيداً عن السياسة، وبمعزل عن الحكم، فأعفوا علماء الدين من التجنيد، واسقطوا الجهاد عمن يحفظ كتاب الجهاد (القرآن) وكأنهم أرادوا أن يبعدوا السلاح عن أيدي

أولئك الذين يتعاملون بالقراءة وبذلك أُبعد القرآن وتعليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة[1].

الأسلوب الثالث:

تمثل في الاستيلاء على أوقاف المساجد وغيرها وصرفها في غير ما وقفت له: وهذا الأسلوب من المؤامرة أدّى دوراً كبيراً في إضعاف دور المسجد وأثره في حياة الأمة المسلمة لأنه الجانب المادي الذي يستعان به على القيام برسالة المسجد أحسن قيام إذا وقعت تحت يد أمينة ومسؤولية راشدة فلقد امتدت يد المستعمرين النصارى في كل بلد استعمروها إلى دائرة الأوقاف ووضعوا لها قواعد الهدم والخراب، وصرفوها في غير وجهتها الإسلامية المحددة لها وتحولت هذه الدائرة الإسلامية الخطيرة من دائرة إشعاع وهداية إلى دائرة ظلام وجباية تهدم المساجد لتبني العمارات، وتدمر المدارس لتعمر المستغلات وتنهب أملاك المسلمين وتهديها للشارد والوارد من الوجهاء والكبراء حتى طمع في أملاكها واستباح حماها كل مناع للخير معتد أثيم من أصحاب الجشع والطمع وخصوم الإسلام.

وسُلِّمت إلى موظفين أكثرهم لا دين لهم ولا يهمهم من أمر الأوقاف شيء بل همُّ الموظف أن يعدد أياماً ويقبض راتباً، والملك ليس ملكه والدار ليست داره فلا يغار عليها ولا يتألم لخرابها ما دام راتبه مضموناً، فكان من نتيجة ذلك أن خربت أملاك الأوقاف، وبارت أراضيها وبساتينها وتهدمت دورها ودكاكينها وتحطمت قصورها وتهشمت مدارسها وبليت مساجدها وأكلت الأرضة كتبها النفيسة ومكتباتها الضخمة التي كانت تحوي من

(١) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

الكتب الإسلامية ما يعدل وزنها ذهباً وفضة ولكنها واأسفاه ذهبت بين أيدي النهب والسلب والسرقة والضياع والتمزيق والإهمال. وهكذا ضاعت أوقاف المسلمين، وتحطمت أملاكها وعقاراتها حتى أصبح معلوماً لدى الناس أنك لا تمر بأرض خراب أو دار مهدمة، ولا بستان قد أكلتها الأدغال والأعشاب ومال شجرها للجفاف إلّا قلت هذه للأوقاف. فالخراب والدمار مصاحبان لدائرة الأوقاف، والغريب في الأمر أن هذا الذي أقوله وأتحدث عنه عن أوقاف المسلمين هو نفسه الذي تجده وتلمسه في أكثر أوقاف المسلمين والقوانين هي هي وكلها عوامل لتخريب الأوقاف وطمس معالم الدين ومكافحة أسباب نمائه وتقدمه وتقدم رجاله ويزول الاستغراب إذ علمنا أن المحرك واحد وهو المستعمر الكافر الغادر.

فالفرنسيون هم الذين صنعوا هذا في سورية ولبنان والجزائر والمغرب وتونس.

والانكليز هم الذين فعلوا هذا في العراق ومصر والأردن والهند وكل بلد إسلامي حلّوا فيه وكان لهم فيه موطن نفوذ وسيطرة.

وما دام المخطط واحد وخطه أعوج غير مستقيم فهو أعوج في كل مكان وفي كل حين وهكذا استمر العوج والانحطاط في دوائر الأوقاف في أكثر ديار الإسلام تبعاً للخطط الخبيثة التي رسمتها يد المستعمر الكافر الغادر[1].

ونتج هذا التآمر على أوقاف المساجد ودور العلم عن أشياء خطيرة استهدفت المسجد بالدرجة الأولى لإضعاف رسالته والعلم النافع عن عدم

(١) انظر الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٤٦.

تعميمه في الناس فالقائمين على هذه المؤسسات من العلماء: تدريساً وإمامة، وخطابة، ووعظاً وإرشاداً لم يُرْعَ لهم من قِبَل من وَلِيَ هذا الأمر حق، ولم تُراعَ لهم حرمة فضيّق عليهم في العطاء، وأسيء عليهم حين الأخذ، واستذل العلماء بها فانكمش العلماء على أنفسهم، وتناقص طلاب العلم، وقلت الرغبة فيه وزهد حتى أبناء العلماء في العلم، ودراسة العلوم الشرعية لما رأوا من مذلة أهل العلم وهوانهم على الحكام ودوائر الأوقاف.

ورغم وجود هذه المؤمرات ضد المسجد وخاصة الأزهر تجميداً لنشاطه، وحرباً لرسالته واحداث مؤسسات أخرى ـ مساجد ضرار ـ للصرف عنه، وتبديد أوقافه وإهمالها فقد وجدت مقاومة شديدة، ورد عنيف لهذه المؤامرات وتلك الحرب تمثلت في أمور كثيرة منها في تحسين الأزهر، ومنها في إيجاد جامعات ومدارس، ومعاهد إسلامية تحمل روح المسجد لتنافس مدارس ومعاهد التنصير والعلمنة(٢).

ولكن كانت المقاومة ضعيفة لضعف الإمكانيات وانتزاع السلطان، وفقدان التشجيع المادي والمعنوي ورغم ذلك فقد أحدثت تلك المقاومة من النهضة ما نرى، ومن الصحوة ما نشاهد وما زال الصراع قائماً ونسأل الله أن يديم لنا ما بقي من خير وينصر المسلمين نصراً مؤزراً قريباً وما ذلك على الله بعزيز.

تلك هي حرب النصارى بمختلف طوائفهم وجمعياتهم من مبشرين ومستشرقين ومستعمرين لرسالة المسجد ووظيفته في المجتمع الإسلامي، وتلك وسائلهم وأساليبهم. أما الشق الثاني من الحرب وهو الإبادة أو

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٦٧ ـ ٢٧٢.

التحويل فهو ما نفّذه المستعمرون منهم لتمكين المبشرين من تنصير الأمة المسلمة أو مسخهم من دينهم ليتوطد الحكم الاستعماري في البلاد الاسلامية وشعوبها.

وهذه نماذج من أساليب الإبادة أو التحويل التي نفّذها قادتهم وجيوشهم وباركها رهبانهم وقسسهم في غابر التأريخ وحاضره فنقول ومن الله نستمد العون.

الأندلس ـ الإسبان ـ:

عندما تغلب النصارى الإسبان بدعم قوي من نصارى الغرب على الحكم الإسلامي في الإسبان وتم لهم اسقاطه لم يرقبوا في مؤمن إلاّ ولا ذمة. ولا في المساجد حقاً ولا حرمة.

لقد كان المسلمون يعدون بالملايين ومساجدهم تعد بالآلاف، وقد تعهّد لهم ملوك النصارى وبابواتهم بأن يبقوا على دينهم وتحترم كل مساجدهم ولكن النكث كان هو المفضل عندهم حيث أبادوا المسلمين قتلاً وتشريداً وارغموا على التنصير ولم يبق في الأندلس إلاّ من استخفى بإسلامه وأعلن نصرانيته وحوّلت جميع مساجد بلاد الأندلس إلى كنائس وعلّق على مآذنها النواقيس والصلبان، ولم يبق من يجهر بكلمة التوحيد والآذان، وتحولت إلى دار كفر(١).

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) انظر التأريخ الأندلسي: د. عبدالرحمن علي الجمحي ص ٥٧.

مصر:

ذكر التأريخ أن الفرنسيين عندما احتلوا مِصْرَ اتخذوا من المسجد الأزهر اسطبلاً لخيولهم، وانتهكوا حرمات المساجد من مختلف بلاد مصر ومن ذلك ما أحدثوه ببور سعيد عندما دخلوا المسجد العباسي وحصدوا المصلين حصداً وتقدر الجثث التي تركت هامدة بالمسجد بمائتي جثة[1].

وفي القدس:

عندما احتله الصليبيون في غزوهم الأول سجّل التأريخ إهاناتهم للمسجد الأقصى وسائر مساجد المسلمين فيها ولم يخلصها إلاّ صلاح الدين الأيوبي رحمه الله يوم أن حررها.

الجزائر:

وقف القائد الفاجر (رومنجو) ونادى في قومه: أنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبداً لإله المسيحيين. وطلب إلى أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن. ثم أشار إلى جامع القشاوة لأنه كما قال.. أجمل مساجد الجزائر طرّاً وهو في وسط المدينة وفي قلب الحي الأوروبي وبالفعل تحدد ظهر يوم ١٨ من ديسمبر عام ١٨٣٢ م لإنجاز هذا العمل وتحقيق تلك الرغبة ففي الميعاد المحدد تقدمت إحدى بطاريات الجيش وأخذت أهبتها للعمل في ميدان السودان، وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفؤوس، وإذا بداخل المسجد ٤٠٠٠ أربعة الآف مسلم، اعتصموا جميعاً خلف المتاريس فاندفعت

(١) انظر كتاب الاستعمار: احقاد واطماع للغزالي ص ١٣٢.

نحوهم القوة العسكرية، ودحرتهم بالسناكي فخروا ما بين صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود واستمرت هذه العملية طول الليل.

حتى إذا كان الصباح كانت القرارات قد صدرت وصار المسجد الجامع (كاتدرائية الجزائر). وما إن انتهى الجنود من هذا العمل حتى استداروا على أعقابهم صوب مسجد القصبة الغني بالذكريات الإسلامية، وأيامه المجيدة، فدخله القواد والضباط والجنود وأقاموا فيه شعائرهم الدينية حتى إذا انتهى القداس شرع القساوسة في تمجيد (إله الجيوش، وترتيل نشيد الغفران). وقد وقع الاختيار على القس (سوشيه) ليكون راعياً للكنيسة التي كانت مسجداً وما إن أطلقت يداه ليعد لنفسه منبراً للوعظ فيها، حتى استولى على منبر الرسول محمد ﷺ أتي به من مسجد يقال له (المقدس) وهو آية في فن النقش العربي، وعلى هذا المنبر النفيس وقف سكرتير الحاكم (بوجو) يقول: «إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلاّ إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً»[1].

الحبشة:

أما الحبشة التي كانت تحت سيطرة (هيلاسيلاسي) النصراني المتعصب فقد أحدث هذا النصراني في المسلمين ومساجدهم من الفساد والإبادة والتشريد وإحراق المساجد، والاستيلاء على أوقافها وإغلاق معاهدها

(١) انظر الاستعمار: أحقاد وأطماع للغزالي ص ٣٧، ٣٩.

الإسلامية ما يعجز القلم عن الكتابة عنه واللسان عن الحديث عنه ولتُسأل قبائل (رايا) ماذا صنع بها؟ ومقاطعة (دلو) الإسلامية ماذا حدث بها؟ وسائر بلاد الحبشة من هرر وأوغادين وغيرها ما فعل بهم. فإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

هذه بعض أعمالهم، ونماذج من إجرامهم، وصور من حقدهم الصليبي على الأمة المسلمة وعلى الإسلام ومساجده، وما ذكرنا قليل من كثير، وغيض من فيض وفي كتب التأريخ ما يندى له الجبين، ويبكي العين دوماً ويملىء القلب أسىً وحزناً وقد وعد الله عباده بالنصر وهو قريب إن شاء الله تعالى ولينصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز.

(١) المصدر السابق ص ٧٦.

ثالثاً: الشيوعيون وسائر قوى الإلحاد والشرك

إن مؤامرات الشيوعيين وحربهم للمسجد عنيفة، ولرواده شديدة، ولعلمائه أشد وأنكى. وهذه الحرب الموجهة على المساجد من قبل الشيوعيين ناشئة من حربها للإسلام وحقدها عليه انطلاقاً من مبدئها اللاديني وعدم الاعتراف بالألوهية، واعتقادها أن الدين (أفيون الشعوب) وقد كذبوا والله والعكس هو الحق.

لقد حاربت الشيوعية الأديان كلها وكان حربها للإسلام بوجه أخص أشد من أي دين لأنها لم تر ديناً له تأثيره على الفطرة، وقريباً من عقول الناس ويخاطبها بما تفهم، وينظم شؤون الإنسان في كل شؤون الحياة، ويقف حجر عثرة أمام انتشار مبادئها الالحادية وقيمها اللاأخلاقية. مثل دين الإسلام. لذلك كانت الحرب له عنيفة ولمساجده شديدة ولأمته أشد وأعظم.

ولقد تمثلت المؤامرة والحرب للمسجد في نواحي متعددة كلها تهدف لإطفاء نوره والقضاء على شكله وهيكله، وتحويله أو هدمه، ومنع المسلمين عنه يقول العقاد متحدثاً عن بشاعة الحرب ووحشيتها: «لقد استباحوا المساجد وكانت من أول أهدافهم، واتخذوا منها مسارح للهو، واصطبلات للخيل أو حظائر للأغنام وجمعوا نسخ القرآن والأحاديث النبوية وأحرقوها في الميادين العامة. وبطشوا بكل من يتوقعون منه المقاومة، ونكلوا بالشباب الأقوياء ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين فأقفرت الديار

وأحرقت المزارع وعمت المجاعة واشتدت قسوة الجوع على الناس حتى أكلت الأم ولدها وهي تبكي عليه. ثم نظروا شزراً إلى المحسنين الذين خفوا لإنقاذ إخوانهم المنكوبين فاتهموهم بالإدخار والوقوف من السلطة موقف التحدي الذي يأخذ بأيدي ضحاياها وقتلوهم لأنهم يطعمون الجياع ويعطفون على الآدمية أن يمسخها الجوع مسخ الضواري والسباع»(١).

هكذا صنعت الشيوعية بالمسلمين ومساجدهم من غير رحمة ولا خوف ولا وجل من العالم وهو يستنكر هذه الأعمال الوحشية.

إن الاتحاد السوفيتي يضم تسع جمهوريات إسلامية كانت تضم عشرات الملايين من المسلمين الذين كان لأجدادهم الماضي الزاهر في خدمة الإسلام وحفظ مصادره ونشر تعليمه، والجهاد في سبيله. هذه الملايين كانت لها من المساجد حسب الاحصائيات لعام ١٩١٢ م في روسيا وحدها باستثناء بخارى وخيوة وكانت فيها مساجد كثيرة جداً تقدّر هذه الإحصائيات المساجد بـ ٢٦٢٧٥ ستة وعشرين ألف ومائتين وخمسة وسبعين مسجداً يقوم عليها من العلماء ٤٥٣٣٩ خمسة وأربعون ألف وثلاثمائة وتسعة وثلاثون عالماً ما بين واعظ وإمام، ومؤذن ومدرس وكان يوجد لهم وسطياً مراكز دينية لكل ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ مسلم مركز.

كل هذه الاعداد للمسلمين ومساجدهم ومراكز دينهم تعرضت لمؤامرات خطيرة وحرب عنيفة من قبل الشيوعيين في روسيا عندما مسكوا زمام السلطة واستتبت لهم الأمور وقد بدأت الحرب مرحلية حيث بدأت بالنيل من الإسلام نفسه للتشكيك في مبادئه والسخرية منها واتهامها بالجمود وعدم مسايرتها للعصر الحديث...

---

(١) عباس العقاد: أفيون الشعوب ١/ ٧٠ بيروت.

ثم بالنيل من علمائه ودعاة الإسلام والسخرية منهم والاستهزاء بهم وعزلهم عن الحياة الاجتماعية، والمشاركة الإدراية والدعاية ضدهم، وترميهم بألوان التهم والقبائح.

ثم بالانقضاض على الأوقاف وتعميمها والاستيلاء عليها وعدم صرف أي شيء لصالح المساجد ومن يديرها.

ثم اتجهت الحرب أخيراً إلى الإبادة والتنكيل بالعلماء وقتلهم، والتخويف والتهديد لمن يتردد إليهم من الشباب والسخرية منهم.

ثم الحرب لفرائض الإسلام ومزاولتها من قبل المسلمين فمنع الحج أولاً ثم الزكاة ثانياً، ثم الصيام ثالثاً، وأخيراً شملت الحملة الصلاة.

وأغلقت المساجد ثم هدم بعضها وحوّل البعض الآخر بناء على طلب الحزب الشيوعي إلى نوادي، ودور سينماء وقهاوي، ومخازن للفودكا ومخازن للبضائع إمعاناً في الإهانة للمساجد ولم يبق من عدد تلك المساجد الضخمة إلى سنة ١٩٤٢ م إلاّ ١٣١٢ مسجداً مفتوحاً للعبادة إسماً حيث أنها لم تهدم ولم تحوّل ولكن لا يستطيع أحد أن يصلي بها ولا تفتح إلا لزيارة الرجال الرسميين المسلمين الذين يأتون من الخارج ليتخذها الشيوعيون سبيلاً إلى الدعاية. وتذكر الاحصائيات أن الهدم كان موزعاً كالتالي:

١ - أربعة عشر ألف مسجداً في آسيا الوسطى والتركستان.
٢ - سبعة الآف مسجد في أودال جنوب اسبيريا.
٣ - أربعة الآف مسجد في أذربيجان.
٤ - ألف مسجدٍ أو يزيد في القرم.

وقد تناقص عدد المساجد التي بقيت حتى بلغ عددها في عام ١٩٦٤ م إلى ٢٥٠ مائتين وخمسين مسجداً فقط.

أما العلماء فقتلوا وشردوا وأهينوا ولم يبق منهم إلى عام ١٩٥٥ م إلاّ ٨٠٥٢ ثمانية آلاف واثنين وخمسين عالماً لا يقدرون أن يحركوا ساكناً وهم من بقايا ما قبل الثورة البلشفية(١).

هذه صورة موجزة لمحاربة الشيوعيين للإسلام والمسلمين وللمسجد موئل المسلمين ومكان عبادتهم وتعليمهم أمور دينهم وتدريبهم على السلوك الإسلامي والأخلاق الإسلامية، ولو أن الاتحاد السوفييتي يسمح بالتعرف على أنبائه أو يذيعها - كما تحدُث - على الناس لسمعنا العجب العجاب.

أما الهندوس:

فحدث عن حربهم للمسلمين ومساجدهم ولا حرج فإن المسلمين يلاقون من الهندوس عباد البقر من الإيذاء والقتل والتشريد وهدم المساجد وإغلاقها ما يشيب من ذكره الطفل ومن آخر ما سمعنا وقرأنا من مجلة المجتمع في بعض اعدادها الأسبوعية لعام ١٩٨٤ أن ٥٩ تسعة وخمسين مسجداً أغلقت واحتلت وحوّل بعضها إلى مطاعم ومتاجر.

وهكذا الحرب لا زالت قائمة على قدم وساق فهل من يقظة وانتباه؟.

وهل من مخلص يسعى لإعادة المسجد إلى رسالته الشاملة ويحميه من هذه الاعتداءات الظالمة، وهذه الإهانات الغير لائقة.

---

(١) انظر المسلمون في الاتحاد السوفييتي ٢٢٨ - ٢٣٩ وكتاب المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي ص ١٤٥ - ١٥٠.

اللهم إنا نشكو إليك ضعف المسلمين، وهوانهم على الناس وعلى أنفسهم، فنسألك يا الله النصر الذي وعدتنا ووعدك حق لا يخلف وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بريق وأمل

في خضم تلك المؤامرات الهادفة إلى إقصاء المسجد عن رسالته ووظيفته في المجتمع الإسلامي كما أقصي الإسلام من قبل عن حياة الناس . .

وفي الحرب المشنونة على المسجد الهادفة إلى إزالته من الوجود كما شنوها على الإسلام لتدميره وإبادة أهله . وفي عنفوان قوة أعداء الإسلام عدداً وعدة وقد توفرت لهم الإمكانيات وتعددت وسائلهم وتنوّعت أساليب كيدهم ومكرهم وفي حالة رهيبة من غفلة المسلمين وسذاجة بعضهم وضعف البعض وسوء نية البعض . في ظل هذه الأوضاع للأمة تظهر طائفة الحق ـ وهي ظاهرة ـ في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة ـ لتؤدي دورها وتقوم بواجبها تجاه هذه المؤسسة الهامة في حياة المسلمين وقوة الإسلام كما تؤديه في غيره كما هو واجبها فشرعت هذه الطائفة من الناحية العلمية والعملية والنظرية لإحياء رسالة المسجد فبدأ النور يسري في ذلك الظلام ، وتجمعت الجهود وتظافرت وتوحّدت الأفكار وتقاربت الأفهام ونسق بين الأعمال ، والتقى أهل الحق ببعضهم فظهرت بوادر الأمل تشع وبريقها يلمع على الاطلال . ومن ذلك الاستجابة لتلك الدعوة العظيمة التي تدعو إلى انعقاد مؤتمر يهدف إلى إحياء رسالة المسجد حيث انعقد في أول بيت وضع للناس ـ في مكة المكرمة ـ في ١٥ رمضان عام ١٣٩٥ الشهر الذي نزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ، وهو أول مؤتمر

ينعقد في العالم الإسلامي لهذا الهدف السامي حضره ممثلون من ثمانين شعباً ودولة جمع هذا المؤتمر أئمة الدين ، وكبار العلماء ، ومديري الجامعات الإسلامية ، ورؤساء الجمعيات الإسلامية الكبرى ، ووزراء الأوقاف وجميع رؤساء المراكز الاسلامية الكبرى ، وخرج ذلك المؤتمر المبارك بقرارات وتوصيات كل مسلم مسؤول عن تنفيذها ودعوة الناس إلى العمل بها في كل مكان .

وقد ضمنها الأستاذ محمد علي قطب في رسالته المسمّاة (رسالة المسجد) وهي مطبوعة تباع في المكاتب .

واليمانيون من أول من استجاب لمقررات هذا المؤتمر وبلورها واقعاً في الحياة من خلال ميثاقه الوطني حيث يقول : «وانطلاقاً من إيماننا بشمول منهج الإسلام نرى أن أهم المرتكزات التي تقوم عليها حياتنا العملية هي العودة إلى المنابع الصافية للعقيدة كتاب الله وسنة رسوله ومقاومة نزعات الإلحاد والشرك وإحياء رسالة المسجد حتى يعود إلى سابق عهده مركز هداية وإشعاع وإصلاح وسمو في العلاقات العملية»[1] .

وكنتيجة لهذه اليقظة واستجابة لهذه الدعوة بدأت المساجد ـ في بعض بلدان العالم الإسلامي ـ تستعيد دورها الرائد في المجتمع المسلم توجيهاً ، وتعليماً وتربية وإعداداً . لقد بات رواد المساجد هم الشباب بدلاً أن كانوا الشيوخ وحدهم والمثقفون بعد أن كانوا يستنكفون منها ، والعسكريون بعد أن كان محرماً عليهم وتحوّلت المساجد إلى خلايا حية تنبض بالحركة والعطاء ليس في ميدان التوعية والتوجيه وأعمال الخير والبر والنشاط الاجتماعي

---

(١) الميثاق الوطني .

فحسب وإنما تعدّت ذلك لتكون موئلاً للتصدي والثبات ضد أعداء الإسلام في كل مكان. وما الحركة الجهادية القائمة في كل من فلسطين ولبنان وأفغانستان والفلبين وغيرها إلا من جيل المساجد الذين يتربون فيها ويعتصمون بحماها.

فإلى الحياة الحقيقية أيها الشباب المسلم وإلى الإقبال الجاد على المساجد للإيمان والعلم والعمل والجهاد والله ناصر عباده المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الواجب العلمي تجاه المساجد المعاصرة حتى تؤدي رسالتها الشاملة

في الأثر: لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها..

لقد كان سلفنا الصالح - كما عرفنا مما سبق - يعتبر المسجد مركز إشعاع وهداية لجميع شؤون الحياة.

فكما أنه مرب للروح فهو مغذ للعقل، وكما أنه مزود للفكر، فهو مرب للجسد، وكما أنه قوة اتصال بالله سبحانه من خلال أنواع العبادات والشعائر المؤادة فيه فهو أيضاً رابطة اتصال بالمجتمع، وموثق عراها. وكما أنه منطلق الدعوة إلى الله والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهو أيضاً ثكنة لإعداد المجاهدين في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله وهو موضع لمدارسة شؤون المسلمين وأحوالهم، كما أنه مكان شورى المسلمين واختيار أميرهم.

هكذا كان حال السلف الصالح مع المسجد مستمدين ذلك من سيرة الرسول ﷺ وأصحابه الكرام وبذلك كانوا ربانيين، وعلماء وقادة وسادة، وأساتذة للعالم.

وفي عصرنا هذا بل وفي عصور سابقة فقد المسجد مكانته وجرّد من كل نشاط اجتماعي، وسياسي، وعسكري بل وعلمي وقصر على النشاط الربانيّ المتمثّل في الصلاة والذكر والتلاوة تحت راية وشعار أن المسجد لا

يقدر على مسايرة العصر في تقدمه وتمدُّنه، وتحضُّره، بحكم اتساع الحياة وتوسع العمران، ولكثرة الناس، وتشعب الأعمال والاختصاصات وتطور العلم والتكنولوجيا، وتوسُّع الإدارات، وتنوُّع المسؤوليات وهذه الشبهة نفسها هي التي ألقاها أعداء الإسلام على الإسلام نفسه لعزله عن الحياة وفصله عن الدنيا.

فهي شبهة يقصد من وراءها القضاء على رسالة المسجد الإسلامية بل وعلى الإسلام نفسه فهي ليست من فكر المسلمين الذين فهموا إسلامهم وأدركوا سرّ قوتهم في أي شيء يكمن؟ وإنما هي فكر مستورد وغزو عدائي مصدره الكافرون. أوجد جهلاً في المسلمين بدينهم، وضعفاً في الإيمان عند البعض واغتراراً بما توصّل إليه الأعداء في عالم المادة، وعدم نظرة بعد في كثير من قادتهم وحاجة في النفس عند بعضهم. وإلّا أليس المسجد بمعناه وروحه هو المسجد الذي كان في عهد الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم؟.

أليس الناس هم الناس بعقولهم وقلوبهم وسائر جوارحهم؟.

أليس الزمن هو الزمن من أنه أربع وعشرون ساعة وليل ونهار؟.

أليست الدنيا هي الدنيا حياة وموت، ووجود وفناء؟!!.

نعم إنه لم يتغير شيء في أصل الخلق والتكوين وإنما الذي تغيّر هو النفوس ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾.

فبعد أن كانت النفوس كبيرة أصبحت نفوس هزيلة، وبعد أن كانت مستنيرة بنور الإيمان أصبحت مظلمة بظلمة المعاصي والآثام، فأصبحت لا تبصر الحق فتتبعه ولا الخير فتسلكه، ولا المعروف فتلتزمه، ولا تقدر التمييز بين ما هو نافع لها وضار بها لكثرة ما استطاع العدو أن يضللها به.

وإلّا فلماذا لا يكون المسجد محضن تربية ومكان صياغة للرجال ومركز إشعاع علمي وعملي بإقامة هذه الأمور فيه؟ أو إنشاء مؤسسات علمية وتربوية حوله؟ أو ربط هذه المؤسسات به إن كانت مستقلة حسب مقتضى العصر ومتطلباته من خلال بناء المسجد في وسطها ليشد المتعلمين إليه ويمدهم بروحه ويزوّدهم بزاد التقوى الذي يحتاج إليه أفراد المجتمع المسلم في كل شأن من شؤون حياتهم؟ ولماذا لا يكون المسجد مركزاً اجتماعياً بحيث يقدم جميع الخدمات الاجتماعية الإنسانية لبني الإنسان من انفاق على الفقراء، ورعاية للأيتام، ومعالجة للمرضى، ومساعدة في الزواج، وإصلاح بين الناس وغير ذلك من الخدمات التي يحتاج إليها المجتمع في مختلف مرافق الحياة؟

وإذا كانت مؤسسات الخدمات الاجتماعية اليوم أصبحت مستقلة بحكم ظروفها وتوسع مجالات أنشطتها وكثرة العاملين فيها وتعدد إداراتها فإن الواجب أن نجعلها مرتبطة بالمسجد من خلال بنائه في وسطها لتسري روحه الإيمانية وزاده الربّانيّ على العاملين في هذه المؤسسات والقائمين عليها.

ولماذا لا يكون المسجد داراً سياسياً يهتدي السياسيون بنوره وهداه ويستمدون من علمائه التوجيهات الشرعية في تسيير دفة الحكم وشؤون الأمة من خلال السماع لكتاب الله وسنة رسوله؟ وإذا كانت المؤسسات السياسية أصبحت مستقلة بمبانيها ومتخصصيها فإنه لا يجوز أن يفصم بينها وبين المساجد بإقصائها عنه بل الواجب أن يكون في كل دار سياسية مسجد يمدّ العاملين في هذا الميدان بالتقوى، والمراقبة الدائمة لله سبحانه وتعالى، حتى يتم على أيديهم كل إصلاح ويتحقق بهم للأمة الأمن والإستقرار والسعادة والهناء.

ولماذا لا يكون المسجد ثكنة يمد المجاهدين بالنظرية الجهادية والوسيلة العلمية للإعداد والتعبئة، ويربط المجاهدين بالله ويصلهم به فتنطلق الكتائب منه لنشر الدعوة وحماية الحريات والدفاع عن الكرامات، وانقاذ البشرية مما هي واقعة فيه من شقاء، كما كان في أول أمره، فيه يتلقى المسلمون الدروس الجهادية، وفيه يتربون، ومنه يخرجون إلى العالم للفتح وإليه يعودون وفي رحابه قيادتهم توجههم من فوق منبره، ومن داخل محرابه؟

وإذا كانت العسكرية قد تطورت من خلال عتادها، وأساليب الاعداد لها قد تنوّعت وتغيّرت تدريباً واستخداماً لتطور الآلات الحربية واستحداث الجديد المعاصر وعدم إمكان استخدام ذلك في المسجد فلا يمنع أن يكون المسجد موجوداً في الثكنة والموقع العسكري يتزوّد منه الجنود بالروح المعنوية التي هي أساس للمقاتل ومحور انطلاقه إذ أن القتال كما هو معلوم يقوم على عدتين:

١ ـ عدة مادية وهي التي تمثلها الوسائل الحربية المختلفة.

٢ ـ وعدة معنوية وهي التي يحملها الجندي بين جنبيه وهذه العدة لا ينالها الجندي المسلم إلّا من المسجد:

إذا علمنا ذلك فما واجبنا نحوها حتى تعود إلى سالف حالها، وذرى مكانتها وحتى تؤدي دورها في الأمة ورسالتها في الحياة؟.

واجبنا نحو المساجد

نجمله في التالي:

١ ـ أن نستوعب رسالة المسجد، ونفهم أنها رسالة شاملة وليست قاصرة على الشعائر التعبدية ولكنها تشمل الإسلام كله كما كان يفهم ذلك الصدر الأول.

٢ ـ أن ندرك حقيقة مؤامرة أعداء الإسلام على رسالة المسجد وأن نكشف مخططاتهم ونسعى جادين في إحباطها. وأن لا نمكنهم من التنفيذ من خلال عملائهم في داخل الأمة المسلمة والذين يرفعون شعار الإسلام للقضاء على الإسلام.

٣ ـ أن نسعى جادين في إحياء رسالة المسجد وعمارة المساجد على الوجه الحقيقي الذي أراده الله سبحانه وبينه في كتابه ووضحه نبيه ﷺ بناءاً وعبادة وتعلماً وتربية لا على الوجه الذي يراه أهل الكفر والإلحاد شكلاً لا جوهراً قال تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾.

٤ ـ أن نوجده في كل قرية، ومدينة، ومؤسسة، وثكنة عسكرية، ومصنع شكلاً ببنائه الحصين المناسب للزمان والمكان، ومعنىً بإتاحة

الفرصة له بأداء رسالته من خلال المترددين إليه والمقيمين به من أهل العلم والإيمان.

٥ ـ أن نزوّده بطاقم إداري متكامل من إمام وخطيب، ومدرّس، ومؤذّن، ومشرف على مصالحه، وأن نزوّده بما يحتاجه من خدم ومنظّفين، وتوفير الامكانيات اللازمة لذلك. والواجب أن يكون هؤلاء جميعاً على غاية من الاستقامة وحسن المعاملة والاخلاص.

٦ ـ أن تزال من حوله كل مساجد الضرار من دور الفساد والالهاء وسائر وسائل الشيطان كما أمر الله نبيه بذلك في مسجد الضرار الأول.

٧ ـ أن تحمى حرمته، وتصان أوقافه، ولا توضع إلا في أيدي أمينة، وأن لا تنفق فيما يتعارض مع رسالته أو يحاربها لأن ذلك من مخططات الاستعمار وأعداء الإسلام وقبل ذلك مخالف لشرع الله.

٨ ـ تكوين مساجد نموذجية في كل عاصمة ومدينة شهيرة على الأقل من العالم تحكي نشاط المسجد الأول الذي أسس على التقوى من أول يوم مع مراعاة تطور العصر من حيث التوسع في المجالات والأنشطة التي كانت تزاول فيما مضى ولقد سبق أن ذكرنا في موضوع رسالة المسجد أمثلة من ذلك.

وذلك لكي يجد المسلم في المسجد حاجته من التوجيه والإرشاد في مختلف مجالات الحياة. كما أنه يجد الرعاية والعناية لمختلف الأحوال والظروف.

ويجد فيه ما يسدّ حاجته من الترويح والترفيه التي يستغنى بها من أن ينجذب إلى مؤسسات الإلهاء والفساد التي أقامها اعداء الإسلام، من دور للسينماء ونواد لقتل الوقت، وقهاوي وغير ذلك.

والمسجد النموذجي في نظري هو الذي تجتمع فيه الخصال الآتية:

١ ـ أن يكون بناؤه بناءاً محكماً وتتوفر فيه الإضاءة الجيدة مع التهوية الجيدة بعيداً عن الزخرفة والنقوش المنهى عنها. وأن يلحق به قسم خاص بالنساء.

٢ ـ أن تتكامل مرافقه الضرورية للنظافة والطهارة مثل الحمامات وأماكن الوضوء والاغتسال مزوّدة بالمياه والمجاري.

٣ ـ أن يلحق به مرافق تربوية وثقافية وكذلك مرافق اجتماعية لخدمة الأمة والمجتمع وذلك مثل:

- مكتبة عامة مزوّدة بالكتب النافعة وتزوّد دائماً بكل جديد نافع.
- قاعة مطالعة مؤثثة تأثيثاً لائقاً.
- قاعة محاضرات واجتماعات للمناسبات الاجتماعية التي لا يتحملها صحن المسجد.
- مصحة تؤثث للخدمات الصحية مع إيجاد صيدلية للاسعافات الأولية على الأقل.
- مركز إرشاد واستشارة: زراعي، ومهني، وخدمي.
- حديقة فيها بعض الأشجار الجميلة وتزوّد ببعض الألعاب والأدوات الرياضية النافعة وتزويدها بمكان للسباحة ومسابقة لبعض الأعمال الجهادية.

- مكان ضيافة للغريب النائي.
- مدرسة تحفيظ للقرآن الكريم بنين وبنات.
- مساكن لطلاب العلم المنقطعين.

٤ ـ أن يوفر له الآتي:

- إمام حافظ لكتاب الله مجيد لتلاوته حسن الصوت والقراءة عالم بالقراءات وعلم التجويد.
- خطيب شجاع مفوّه، واسع الاطلاع عميق الثقافة، الخبير بواقع أمته، القادر على تحسس المشكلات والتعرف عليها ثم معالجتها وعرض حلولها.
- علماء متخصصون في مختلف العلوم والفنون يقيمون دروساً منتظمة لتغطية حاجة الأمة من العلم والمعرفة. وحاجة طلاب العلم الذين يحتاجون إلى تقوية في مختلف العلوم.
- مؤذّن حسن الصوت عالم بالأوقات خبير بها حريص على الالتزام بها.
- سدنة يحرصون على نظافة المسجد ومرافقه التابعة له بحيث يكون المسجد ومرافقه غاية في النظافة والهدوء.
- طبيب عام أو صحي على الأقل يعالج المترددين إلى المسجد بالمجان.
- مدرس، أو مدرسين لتعليم كتاب الله عز وجل وتحفيظه.
- مهندسون وزراعيون، ومهنيون يتبرعون بأوقات ليعطوا المشورة المخلصة لمن طلبها في هذه الميادين بالمجان.
- ينتدب أهل الخبرات من المسلمين في مختلف مجالات الحياة لكي يعطوا وقتاً خاصاً للمسجد يبذلون فيه خبراتهم لمن يطلبها من المسلمين بالمجان.

- مدرّب رياضي لتكوين أشبال الدعوة ورجال الجهاد المخلصين.

٥ ـ أن تكون إدارة تدير هذه الأمور وتنظم أعمالها وتطلب المشورة عند اللزوم ممن هو أهل لها.

٦ ـ يا حبذا لو ينشأ مجلس للإدارة من العاملين في المسجد ليكون هو المرجع عند النزاع وصاحب المشورة عند الحاجة.

هذه أهم الأمور التي ينبغي أن يستوعبها المسجد النموذجي الذي يراد له أن يحقق رسالة شاملة في المجتمع وأن يوجد جيلاً مبنياً على أسس الإيمان والعلم والعمل يتربّى بالقرآن، ويتغذّى بالإيمان، ويعيش في أفياء وظلال بيوت الله فيكون ممن وصفهم الله بقوله: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾.

وأخيراً فهذا ما أردت كتابته عن المسجد، وما هي إلاّ محاولة عن توضيح رسالة المسجد وأهميته وأثره في حياة الأمة المسلمة ودوره في تربية الأجيال وتنشئتها، وبيان كيف أدرك أعداء الإسلام هذا الأمر وكيف قاوموه من أول يوم بالمكر والكيد والدهاء، ولكن الله غالب على أمره كتب الرحمة لعباده المؤمنين وتولى أمرهم ووعدهم النصر ومنحهم إياه متى تحققوا بالنصر لدينه ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾.

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله والله أكبر ولله الحمد وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٣٠ رجب الفرد سنة ١٤٠٦ الموافق ٨ ابريل سنة ١٩٨٦

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ في ظلال القرآن سيد قطب.
٣ ـ جامع الأصول المبارك بن محمد بن الأثير.
٤ ـ مجمع الزوائد علي بن أبي بكر الهيثمي.
٥ ـ كنز العمال علي بن حسام الدين المتقي.
٦ ـ سيرة ابن هشام أبو محمد عبدالملك بن هشام
٧ ـ حسن المحاضرة محمد الخضري.
٨ ـ فقه السيرة محمد الغزالي.
٩ ـ دراسة في السيرة عماد الدين خليل.
١٠ ـ المدخل للعبدري.
١١ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد عبدالحليم بن تيمية.
١٢ ـ المسجد في الإسلام خير الدين والي.
١٣ ـ رسالة المسجد محمد علي قطب.
١٤ ـ المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي د. علي عبدالحليم محمود.
١٥ ـ المساجد حسين مؤنس.
١٦ ـ النظرية التربوية الإسلامية آمال حمزة المرزوقي.
١٧ ـ أصول التربية عبدالرحمن المحلاوي.
١٨ ـ التاريخ الأندلسي د. عبدالرحمن علي الحجي.
١٩ ـ الفرق بين الفرق عبدالقاهر بن طاهر البغدادي.
٢٠ ـ الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر محمد محمد حسين.
٢١ ـ مكائد يهودية عبر التاريخ فتحي يكن.

٢٢ ـ العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي أنور الجندي.
٢٣ ـ الغارة على العالم الإسلامي محب الدين الخطيب.
٢٤ ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف.
٢٥ ـ الاستعمار أحقاد وأطماع محمد الغزالي.
٢٦ ـ أفيون الشعوب عباس العقاد.
٢٧ ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي إحسان حقي.

الفهرس

رقم الإيداع	
٨٤٩١	١٩٨٩

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٦١٨١٣٧